الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار ثليجي- الأغواط
كلية العلوم الإجتماعية
قسم الفلسفة

الموضوع

دور المثقف في الوعي العربي المعاصر

" عبد الإله بلقزيز أنموذجا "

مذكرة لنيل شهادة الماستر
فلسفة عربية وإسلامية

إعداد الطالبة:
– حياة بقوقة

إشراف الدكتور:
- عبد الرحمان خرشي

السنة الدراسية: 2021/2020

شكر وعرفان

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

نشكر الله على نعمة التي لا تقدر ولا تحصى ومنها توفيقه عز وجل في إتمام هذا العمل.

نتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى الأستاذ المشرف "خرشي عبد الرحمان "

لإشرافه على هذه المذكرة وعلى دعمه وعلى توجيهاته القيمة والتي كانت لي سندا وعونا منذ بداية العمل في هذه المذكرة والتي لا تكفي كل كلمات الشكر والتقدير والتي نصفها .

وإلى الأساتذة الأفاضل لمناقشة هذه المذكرة

وإلى كل دكاترة وأساتذة قسم الفلسفة

إهداء

احمد الله عز وجل على عونه لإتمام هذا البحث

إلى الذين وهباني كل ما يملكان حتى أحقق لهما آمالهما .

إلى من كانا يدفعاني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى إلى من إمتلك الإنسانية بكل قوة

إلى الذين سهرا على تعليمي بتضحياتهما وعلماني العطاء دون إنتظار

أهدي هذا العمل إلى "الوالدين الكريمين حفظهما الله"

إلى إخوتي وأخواتي

إلى كل العائلة

إلى من أحببتهم ولم تسع ورقتي لكتابتهم .

ولكن يبقى في القلب حبهم

فهرس المحتويات

مقدمة 7
الفصل الأول في مفهوم المثقف.....6
المبحث الأول : ماهية المثقف.....7
أولا: تعريف المثقف 7
المبحث الثاني : أنواع المثقف وأدواره.....16
أولا: دور المثقف 16
ثانيا: أنواع المثقفين 19
الفصل الثاني المثقف بين المعطى الواقعي وإرادة التغيير 29
المبحث الأول: المثقف والحياة الإجتماعية والصراعات.....30
أولا: شخصية المثقف من خلال الصراعات 30
ثانيا: المثقف والحياة العامة : 33
ثالثا: الموقع السياسي للمثقف : 34
المبحث الثاني: سلطة المثقف والتغيير 42
أولا: سلطة المثقف 42
ثانيا: المثقف العربي بين الوهم والتحدي : 43
ثالثا: المثقف والتغيير 45
الفصل الثالث قراءة في كتاب نهاية الداعية لعبد الإله بلقزيز 57
الجانب الشكلي 59
التعريف بالكاتب 59
مؤلفاته 59
الجانب الموضوعي 60
الفصل الثاني: زمن المراجعة مراجعة الإنتاج المعرفي للمثقفين العرب 62
الفصل الثالث: هل انتهى دور المثقفين 64
الفصل الرابع: مابعد الداعية 67

الخاتمة 74
قائمة المراجع..... 77

مقدمة

إنّ ما تعيشه المجتمعات العربية اليوم في ظل إختلاف الثقافات وتحديات الثقافات الأخرى الذي تعرف توسعا في كل العالم إعتمادا على وسائل تكنولوجيات الإعلام والإتصال وجب على المثقفين النظر العميق في الكثير من القضايا ونفض الغبار عن عدّة قضايا ساهم تسارع الأحداث في طمسها ومحوها ومن بين القضايا التي تستحقّ النظر وإعادة دراستها، هي مسألة المثقّف وأدواره أو وظائفه في عملية التّغيير المأمول فهل يمكن للمثقّف العربي اليوم أن يجد له دورا ومكانة في صناعة هذا التّغيير؟ وهل المثقّف العربي، يساهم فعليّا في ظل المتغيرات الكثيرة التي تواجهه في المنطقة العربيّة، أم أنّ هذا المثقّف، قد تجاوزته الأحداث؟ ثم هل أنّ حالة التّغيير التي نعرف اليوم والتكالب الحاصل على الدول الإسلامية والعربية هي نتيجة طبيعية لمنتجات فكريّة، إستطاع العقل العربي أن يراكمها خلال عقود وإستطاع أن يترجمها في حركات إجتماعيّة أو سياسيّة تبنّت فكرة التّغيير، أم أنّ التّغيير الحاصل الآن هو عملة مستوردة ربطا بالثقافات الأخرى وما ينجر عنها أي يطغى فيها العامل الخارجي على مطالب الدّاخل وقدراته، لذلك أصيبت عمليّة التّغيير الثقافي في مقتل رغم أنّها مطلب جماهيري قديم بناءا على ما يأملونه من مثقفيهم العرب.

في واقع الأمر، تتزاحم الأسئلة وتتدافع عند إثارة، موضوع المثقّف وأدواره في صناعة الوعي المعاصر لأنّ أدوار المثقّف ليست محددّة ضمن قائمة خاصّة ومضبوطة، ولأنّ مجالات التّدخّل ليست محدّدة أيضا، فالحديث عن أدوار المثقّف ووظائفه في عالمنا اليوم هو حديث عن مسألة متشعّبة، ومتداخلة الخيوط والأبعاد.

ولكن علينا أن نسعى إلى حصر المسألة، وأن ينتقي من النّماذج ما يخدم مساره البحثي، فالثقافة وما تحمله حافل بالآثار الفكريّة العميقة، وعالم اليوم ليس هو عالم الأمس لأنّ التّغييرات التي حصلت، سواء في بعدها الإيجابي أو السلبي هي تغييرات نوعيّة، مسّت بنية الفكر وبنية الدّولة وبنية المجتمع. وضمن هذه التّغييرات الكثيرة، إشكاليّة "المثقّف وأدوراه" لأنّ أيّ عمليّة تغيير حضاري للمجتمع والدّولة لا نستند فيها إلى المثقّف، هي عمليّة

فاشلة عاجلا أم آجلا. وكلّ عمليّة تغيير لا تستند، إلى بُنى مرجعيّة، نابعة من الواقع و"مطابقة لحاجيّات الواقع" فهي عمليّة تغيير للقشرة الخارجيّة للمجتمع، ولا تمسّ الجوهر فكأنّما هي عمليّة تزيين للمظهر الخارجي مع المحافظة على الأصول القديمة للمجتمع.

فنكون كما كنّا منذ محاولات النّهضة الأولى، نخوض معركة خاسرة للتّوفيق بين الأصالة والحداثة، فلا نحن كسبنا حداثة أصيلة ولا نحن استطعنا المحافظة على أصالة قادرة على إثبات ذاتها في المجتمعات المعاصرة.

فالحديث عن "دور المثقّف في الوعي المعاصر" يستدعي بالضّرورة تحديد المفاهيم والمصطلحات، حتى نحقق أهداف الموضوع الذي نربطه بالمثقف المغربي " عبد الإله لقزيز " الذي حاول تغيير النظرة حول المثقف العربي ودوره في التغيير ارتباطا بالماضي والحاضر وتوافقه مع الحداثة.

إنّ واقع المنطقة العربيّة اليوم يحتاج، من المثقّف أن ينهض بعدّة أدوار، قصد إعادة ترتيب البيت العربي، بعد الزلازل التي هزّت هذه المنطقة منذ نهاية القرن العشرين و تتواصل إلى حد الآن. فالمثقّف الذي ساهم في عملية بناء الدولة الحديثة، عقب إنتصار حركات التّحرّر الوطني، مطالب اليوم بالمشاركة الفعّالة في إعادة إعمار الحياة الثّقافية بمنتجات فكريّة مواكبة للحالة الرّاهنة، وبالمساهمة في إعادة ترميم البنى الإجتماعيّة، التي شهدت عمليّات " تكسير إجتماعي" ممنهجة، وظّفت فيها العناصر الدّينيّة والمذهبيّة والطّائفيّة، بغاية تفجير المجتمع من الدّاخل وإعادة بنائه وفق خرائط وتقسيمات جديدة. والمثقّف مطروح عليه في خضمّ حالة التّغيير العاصفة، أن يفكّر في إيجاد وسائل تحقيق التّنمية الشّاملة والمستدامة.

ومن سبق نخلص إلى طرح الإشكالية التالية:

ما دور المثقف العربي في الوعي العربي المعاصر ؟ وما تصور المثقف عبد الإله بلقزيز في الوعي العربي المعاصر كنموذجا؟

ومنه نطرح مجموعة من المشكلات :

- من هو المثقف وما هي أهم تعريفاته؟
- كيف للمثقف ان يؤثر في الوعي العربي المعاصر ؟
- من هو المثقف " عبدالإله لقزيز " وماهي أبرز مداخلاته وما محتواها؟
- كيف كان للمثقف" عبدالإله لقزيز " له دور في الوعي الثقافي المعاصر ؟

أهداف الدراسة:

وأهم أهداف هذا البحث، هو تقديم تعريف مناسب للمثقف في عصرنا الحالي وإماطة اللّثام عن دور المثقّف في تعزيز الوعي المعاصر وهذا الدّور يستوجب في نظرنا قيامه بعدّة وظائف، هي من متطلّبات المرحلة التي نعيشها

التعريف بعبد الإله لقزيز ومحاولاته الجادة في ترتيب بيت الثقافة العربية عموما والمغربية بالخصوص. وتكون أهمية الموضوع في الدور الذي يطمح المثقف في الوعي العربي المعاصر حيث الإختلاف الكبير في الثقافات التي عملت على خلط الصورة المجتمعية التي تنهش المجتمعات العربية بالخصوص.

أسباب إختيار الموضوع:

وعن أسباب إختيارنا للموضوع فكون العصر الذي نعيش فيه مليء بالثقافات المختلفة التي سيطرت على مجتمعات العالم وعلى المجتمعات العربية بالخصوص حيث ان المثقف اليوم ومع مواكبته التطور الحاصل في جميع المجالات وجب علية مقاومة التغيرات التي تؤثر على أفكار المجتمع خاصة الثقافات إلهدامة التي تسعى إلى هذه لمجتمعات والحضارات بكل ما أوتيت من قوة.

المفاهيم والمصطلحات:

مفهوم المثقف، إتسع ليشمل جميع الذين يشتغلون بالثقافة، إبداعا وتوزيع وتنشيطا، بوصف الثقافة عالما من الرموز يشمل الفن والعلم والدين ".

المثقف هو فاعل إجتماعي جمعي وليس مجموعة أفراد يشتركون في نشاط مهني أو علمي أو ذهني واحد يقرب فيما بينهم. وعندما نتحدث عن فاعل إجتماعي فنحن نشير إلى قوة محركة وديناميةإجتماعية لا إلى مبدع فكري ".

مناهج البحث

ولقد إعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب مع الموضوع من حيث الدراسة المقدمة والإشكالية المطروحة .

صعوبات الدراسة:

- العمل مطولا على محاولة وضع خطة مناسبة للموضوع
- كثرة المراجع جول تعريف المثقف الامر الذي صعب علي إيجاد تعاريف متنوعة ومعتمدة ومناسبة
- نقص المراجع التي تناولت مواضيع المثقف المغربي عبد الإله لقزيز

تقسيمات الدراسة:

في سبيل تحليل الموضوع وتقديمه قسمنا الخطة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة

المقدمة : والتي كانت عبارة عن تقديم عام للموضوع بمدخل إلى الثقافة والمثقف كما أوردت فيها الإشكالية وأهم أهداف الدراسة وكذلك الدوافع التي جعلتني أختار الموضوع إضافة إلى تحديد المفاهيم الخاصة بالدراسة كما وضحت فيها المنهج المتبع في هذه الدراسة وكذلك الدراسات السابقة وأخيرا الصعوبات التي واجهتني في الدراسة

أما الفصل الأول : فكان تفصيلا لتعريف المثقف حيث كان المبحث الأول لماهية المثقف من خلال تقديم لتعريف له ولمجموعة التعاريف المختلفة وفي المبحث الثاني إلى أدوار المثقفين وأنواعهم .

أما الفصل الثاني: فكان المثقف بين الصراعات والحياة العامة والتغيير، في المبحث الأول المثقف والحياة الإجتماعية والصراعات المبحث الثاني: سلطة المثقف والتغيير .

أما الفصل الثالث: عبد الإله لقزيز ودوره الثقافي ، المبحث الأول نبذة عن حياة عبد الإله لقزيز أما في المبحث الثاني دور المثقف عبد الإله لقزيز في الوعي المعاصر .

والخاتمة لموضوع مذكرتنا أدرجنا أهم النتائج والنقاط التي تم التطرق إليها من خلال قيامنا بهذا البحث .

الفصل الأول

في مفهوم المثقف

المبحث الأول : ماهية المثقف

أولا: في مفهوم المثقف

عندما نتساءل من هم " المثقفون"؟ وبأي معنى يمكن – إن لم نقل يجوز – توظيف هذه المقولة في الفضاء الثقافي الخاص بالثقافة العربية الإسلامية، فضاء القرون الوسطى؟ فكيف يمكن تبرير إختبار صنف أو فئة من هذه الأصناف والفئات من أهل العلم والمعرفة والأدب في الحضارة العربية الإسلامية وتخصيصهم بإسم " المثقفين"؟ هل ندخلهم جميعا في مضمون هذه المقولة، وفي هذه الحالة ما الفائدة من التسمية إذا كانت لا تحدد ولا تعين، ولماذا لا نحتفظ بالإسماء القديمة التي تحدد وتعين مثل: علماء فقهاء، أدباء، نحاة، كتاب... الخ.، كما فعل المؤلفون القدماء؟ وإستنادا إلى تعبير الفيلسوف الماركسي الإيطالي، غرامشي الشهير بآرائه في الموضوع، غرامشي الذي يقول: " إن المثقفين، بما هم مثقفون، لا يشكلون طبقة مستقلة، بل إن كل مجموعة إجتماعية لها جماعة من المثقفين خاصة بها، أو هي تعمل على خلقها"، وظيفتهم القيام لها بدور أداة إلهيمنة ووسيلة السيطرة وتحقيق الانسجام داخل المجموعة[1] وبذلك يتحدد وضع المثقف من خلال المجموعة الإجتماعية التي يخدمها من خلال الدور الذي يقوم به في السياسة والصيرورة التاريخية، فيكون مثقفا "تقليديا"، عندما يرتبط بالمجموعات القديمة والطبقات الآيلة إلى الزوال، ويكون مثقفا "جديدا" ناقدا عندما يساهم في تعبئة المجموعة الإجتماعية الصاعدة وبلورة ملامحها وأهدافها وبعبارة أخرى، إن المثقفين إما أن يكونوا أدوات للهيمنة على مستوى المجتمع المدني إلهيمنة التي تمارسها المجموعة الإجتماعية المسيرة على مجموع الجسم الإجتماعي وإما أن

[1] محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2000، ص 19.

يكونوا أداة من أدوات السيطرة على مستوى المجتمع السياسي مستوى الحكم الذي يمارس عبر الدولة وفقا للقانون. [1]

إن تاريخ استعمال – أو على الأقل – انتشار هذه المقولة، في الخطاب العربي، قد لا يتجاوز نصف قرن من الزمان، وهي بصيغتها المعاصرة : " المثقفون"، كلمة مولدة، إذ هي ترجمة للكلمة الفرنسية intellectuel التي لا يرجع تاريخ استعمالها كإسم إلى أزيد من قرن (في اللغة الإنكليزية يرقي استعمال هذه الكلمة إلى القرن السابع عشر، ولكن حمولتها الراهنة إنما تجد مرجعيتها في الفكر الفرنسي خاصة، كما سيتبين بعد). ومع أن الترجمة موفقة، في مضمونها العام، إلا أنها تسجل حدثة لغويا/ فكريا لا يخلو من مفارقة : فلفظ intellectuel مشتق من intellect الذي معناه العقل أو الفكر، وبالتالي فهو بدل، عندما يستعمل وصفا لشيء، على انتماء أو ارتباط هذا الشيء بالعقل كملكة للمعرفة (مثل قولنا نشاط عقلي أو فكري) أو بالروح. في مقابل المادة. (كقولنا: الحياة الروحية). أما عندما يستعمل إسماء وهو ما يهمنا هنا. وهذا يرجع إلى أواخر القرن الماضي – فهو يحيل إلى الشخص الذي لديه

" ميل قوي إلى شؤون الفكر، إلى شؤون الروح "، الشخص الذي تطغى لديه " الحياة الروحية، أو الفكرية" على غيرها. ومن هنا عبارة: " العمال الفكريون " في مقابل " العمال اليدويون".

هذا في اللغة الفرنسية، أما اللفظ العربي: "مثقف"، الذي وضع ترجمة ل intellectuell فهو لا يحيل إلى الفكر أو الروح، بل إلى لفظ "الثقافة" الذي هو ترجمة لكلمة culture الفرنسية التي تدل في معناها الحقيقي الأصلي على "فلاحة الأرض" وأيضا على " مجموع العمليات التي تمكن من إستنبات النباتات النافعة للإنسان والحيوانات الأليفة". أما في معناها المجازي فتدل أولا على " تنمية بعض الملكات العقلية بواسطة تداريب وممارسات"، كما تدل ثانيا على " مجموع المعارف المكتسبة التي تمكن من تنمية ملكة النقد

[1] محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 21.

والذوق والحكم". والمثقف بهذا المعني، سيكون هو من اكتسب بالتدريب والتعلم جملة المعارف التي تنمي فيه هذه الملكة[1] . وهذا المعنى لا يتطابق مع مفهوم intellectuel الذي يدل كما قلنا على الشخص الذي يمتهن العمل الفكري. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا بد من الإشارة إلى أن لفظ "مثقف" في اللغة العربية المعاصرة، وهو مولد كما قلنا، لا تكاد نعثر له على أثر في الخطاب العربي القديم، وهو إسم مفعول من " ثقف" بمعنى حذق. جاء في **لسان العرب:** " ثقف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة: حذقه، ورجل ثقف وثقف وثقف: حاذق فهم" ولم يرد فيه لفظ " مثقف". أما لفظ " الثقافة" فقد ورد كمصدر، بمعنى: الحذق : "وثقف الرجل ثقافة : أي صار حاذقا خفيفا"، وقد استعمل – ولكن بندرة – في هذا المعنى، معنى الحذف في صنعة من الصنائع المادية أو الفكرية . [2]

وإذن ف «الثقافة» التي يحيل إليها لفظ " المثقف " في خطابنا المعاصر ليست هي "الثقافة " كما تفهم من هذا اللفظ في الخطاب العربي القديم وليست هي " الثقافة " بمعناها في اللغات الأوروبية والفرنسية بكيفية خاصة. فنحن لا نعني ب " المثقف" في خطابنا السياسي الثقافي السوسيولوجي المعاصر، لا: " الحاذق الماهر"، ولا: من اكتسب بالتعلم والمران ملكة النقد والحكم، بل نعني شيئا أكثر من هذا وذاك.

لا يمكن أن نجد تعريفا واضحا ودقيقا، لمفهوم المثقّف، رغم وجود عديد المؤلّفات التي تناولت هذا المفهوم. لأنّ زاوية النّظر إلى المثقّف تتغيّر حسب خلفيّة الكاتب، وحسب زاوية النّظر التي يُنظر منها للمثقّف ولوظائفه في المجتمع. وهذا المفهوم منذ ظهوره في بدايات القرن التّاسع عشر، يشهد تحوّلات جذريّة، مواكبة لتغيّر جملة من المفاهيم. والثّابث أنّ مفهوم المثقّف الرّاهن، يجعلنا نأخذ بعين الإعتبار جملة العناصر المتغيّرة، وفي ظلّ انتشار التّعليم ووسائط التواصل الحديثة. إنّ مدار الإهتمام، ينصبّ على وظائف المثقّف، أكثر من

[1] محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ط 3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1990، ص 82.

[2] محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، المرجع السابق، ص 85.

تحديد مفهوم المثقّف عموما. لذلك نجد في التّسميات نعوتا تلتصق بمصطلح المثقّف من قبيل، "المثقّف العضوي" و" المثقّف النّقدي"، و" المثقّف الفاعل"، وهي كلّها توصيفات تتعلّق بالوظيفة والدّور، لأنّ طبقات الوعي العميقة، إنّما تنظر للمثقّف بإعتباره حمّال الأفكار ومبدع الحلول، ومخلّص الأمّة من إلهموم، وإسم طريق التّنوير، وقائد عمليّة التّغيير. ودون هذه الوظائف الجسيمة، لا ينظر للمثقّف بإعتباره كائنا ذا هويّة، بل ينظر إليه من حيث علاقات تقرّبه حينا من جمهور المريدين، وحينا آخر تضعه في بوتقة السّلطة، فيصبح مدافعا عنها، مبرّرا لسلطتها القهريّة، فيكون عداء الشّعب له، أكثر حدّة من عدائه للسّلطة. وضمن هذه الصّور المتعدّدة، تحرّك مفهوم المثقّف ليكتسب في كلّ مرحلة معنى. ونجد في كتاب " مفاتيح اصطلاحيّة جديدة" تعريفا للمثقّف، فهو مصطلح يدلّ " على فئة من النّاس تعتمد منزلتها الإجتماعيّة على دعواها بالخبرة الفكريّة." ونجد في ذات الكتاب، تدقيقا أكثر وضوحا للمثقّف وللدّور المنوط بعهدته. إذ يقول المؤلّف،" مع ذلك من الضّروري التّمييز بين هذه الطّريقة الإجتماعيّة الواسعة في التّفكير بالمثقّفين، وأهل الفكر كجماعة، وتصوّر أضيق وأكثر معياريّة عن المثقّفين كنخبة صغيرة من رجال الأدب ونسائه ممّن يتصرّفون كناطقين عامّين بإسم حقول المعرفة الرّفيعة، كالفلسفة و الفنون و العلوم الإجتماعيّة و العلوم الطّبيعيّة الأرقى، ويعلّقون على سائر الشّؤون الفكريّة و العامّة. وفي هذا المعنى الأخير، تفهم مهمّة المثقّف في تحقيق التّنوير و الحداثة". [1]

بهذا التّعريف، يتحدّد المطلوب من المثقّف فينزاح "المثقّف" إلى المفهوم الماركسي، الذي عبّر عنه غرامشي بصورة جليّة وواضحة، أي ذاك "المثقّف العضوي" الذي ينتصر لآلام شعبه، و يسعى للدفاع عن الحقوق الأساسية للمواطن. يقول الدكتور سيّار الجميل، في مقال له بعنوان "مفهوم المثقّف العضوي ودوره في التّغيير"، " أمّا مشكلة المثقّفين فهي أساسيّة وجوهريّة، إذ يرى غرامشي أنّ كلّ البشر مثقّفون بمعنى من المعاني، ولكنّهم لا

[1] محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 120.

يملكون الوظيفة الإجتماعيّة للمثقّفين، وهي وظيفة لا يمتلكها إلاّ أصحاب الكفاءات الفكريّة العاليّة الذين يمكنهم التّأثير في النّاس .. ومن هنا يُستخلص الفارق بين المثقّف التّقليدي والمثقّف العضوي .. الأوّل يعيش في برجه العاجي ويعتقد أنّه أعلى من كلّ النّاس، في حين أنّ الثّاني يحمل هموم كلّ الطّبقات وكلّ الجماهير وكلّ الفقراء والمحرومين والكادحين .. وعليه فإنّ المثقّف الحقيقي هو المثقّف العضوي الذي يعيش هموم عصره ويرتبط بقضايا أمّته .. إنّ أيّ مثقّف لا يتحسّس آلام شعبه لا يستحقّ لقب المثقّف حتّى وإن كان يحمل أرقى الشّهادات الجامعيّة ."

ضمن هذا السّياق، يمكن قراءة، مفهوم المثقّف. إذ ما أهمية النّخبة المثقّفة أو الإنتلجنسيا ما لم تكن فاعلة ودافعة لحركة التّغيير؟ وما أهمية النّخب المثقّفة إن لم تكن قادرة على قيادة الجماهير نحو مستويات حياتيّة أفضل؟ إنّ جانبا من هذه إلهواجس نجدها عند أنطونيو غرامشي في رسائله، عندما يؤكّد على أهمية أن تكون هناك علاقات ترابط وثيقة تصل حدّ الاتحاد بين "الجماعة الفكريّة أو النّخبة المثقّفة وجماهير البسطاء، إذ يقول:" و لا يمكن على أيّة حال، تحقيق الاستقرار الثّقافي و خلق فكر عضوي ، ما لم توجد بين المثقّفين والبسطاء ذات الوحدة، التي ينبغي أن تكون بين النّظريّة والممارسة. أي ما لم يصبح هؤلاء المثقّفين العضويين لتلك الجماهير، وما لم يصوغوا المبادئ والقضايا التي تثيرها الجماهير في نشاطها العملي صياغة محكمة، وبهذا يشكّلون كتلة ثقافيّة وإجتماعيّة إنّ المثقّف الرّاهن المطلوب، في خضمّ هذه التحوّلات التي يعيشها المجتمع العربي، يدفعنا دفعا إلى استحضار المثقّف العضوي، بمفهومه الغرامشي. ولكنّ المفهوم يشهد تحوّلات هو أيضا، فالمطلوب هو المثقّف الملتزم بقيادة المجتمع نحو الواقعيّة السّياسية ونحو العقلانيّة الفكريّة. لأنّ مهمّة البناء والإصلاح للدّولة وللمجتمع، ستتطلّب جهدا فكريّا وثقافيّا[1]، ربّما يتجاوز ما تمّ بذله من المثقّفين العرب طوال العقود السّابقة. إنّ مشروعا ضخما، يتمثّل في

[1] محمّد عابد الجابري، المثقّفون في الحضارة العربيّة، محنة ابن حنبل و نكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت الطبعة الثانية. 2002، ص 146.

إعادة بناء أمّة منكسرة و مهزومة حضاريّا، هو مشروع يتطلّب وجود "قادة فاعلين" منخرطين في قضايا تاريخهم الرّاهن، ساعين إلى تقديم حلول جذرية لمشاكل واقعهم. وضمن هذه السّياق يستبق المفكّر الرّاحل ياسين الحافظ عصره، منبّها إلى ضرورة أن نبدأ بداية صحيحة، فيقول عن ضرورة تأهيل النخبة المثقّفة: " ونقطة البداية، هي قلب الاستراتيجيّة العربيّة قلبا كلّيا، وبالتّالي إعتبار تحديث وعقلنة وكوننة وعي الانتلجنسيا العربيّة مقدّمة لا بدّ منها لتعديل ميزان القوى لصالح الأمّة العربيّة."

ثانيا: تعريفات المثقف المختلفة

1- مفهوم المثقف عند العامة: اعتقد البعض أن المثقف هو الذي يمتلك مقدارا كبيرا من المعلومات، بغض النظر عن نوع هذه المعلومات وصحتها ودقتها. والبعض الآخر اعتبره كل من حصل على قدر من التعليم بغض النظر عن الشهادة. والبعض الآخر أعتقد أن المثقف هو الذي اعتلى مكانة مرموقة في سلم التراتب الإجتماعي، وغيرها من التعريفات الكثيرة، هذه الكثيرة التي أدت إلى غموض مفهوم المثقف عند شرائح كثيرة من المجتمع وحتى عند المثقف ذاته. وزادت هذا الغموض شدة التحولات المعرفية[1] التي حصلت في العلمين الإسلامي والغربي على السواء، فمن هو المثقف؟

2- تعريفات المثقف: إختلفت تعريفات الثقافة بإختلاف التوجهات الفكرية والمداخل المعرفية، نأخذ من بينها التعريفات التالية:

يرى محمد عابد الجابري أن مفهوم المثقف، إتسع ليشمل جميع الذين يشتغلون بالثقافة، إبداعا وتوزيع وتنشيطا، بوصف الثقافة عالما من الرموز يشمل الفن والعلم والدين "[2] .

[1] خالد الحروب: المثقفون العرب في معرض فرانكفورت "غرامشي" التوجه والالتزام؟، صحيفة الاتحاد الإماراتية، العدد 10692، الأربعاء 29 شعبان 1425/ 13 أكتوبر 2004م.

[2] – محمد عابد الجابري: المثقفون في الحضارة العربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2000، ط2، ص 24.

أما برهان غليون فيعتقد " أن المثقف هو فاعل إجتماعي جمعي وليس مجموعة أفراد يشتركون في نشاط مهني أو علمي أو ذهني واحد يقرب فيما بينهم. وعندما نتحدث عن فاعل إجتماعي فنحن نشير إلى قوة محركة وديناميةإجتماعية لا إلى مبدع فكري ".[1]

وهناك من حدد مفهوم المثقف حسب وظيفته الإجتماعية، وهنا يتقاطع نشاط المثقف مع غيره من الشرائح الأخرى في المجتمع كالمفكرين والأكاديميين ورجال الدين، مما أدى بالبعض إلى القول بضرورة الرجوع إلى الخطاب الذي يحمله للتمييز بينه وبين غيره.[2]

وهناك من رأى أن توقف الخلافة العثمانية وقيام الدولة العربية الحديثة أنتج المثقف العربي الجديد الذي تميز بالاحتكاك مع الغرب[3]، فتأثير الفكر الماركسي مثلا أنتج ما يسمى بالمثقف العضوي، وتأثير الفكر الليبرالي أنتج المثقف العلماني.

وهناك مصطلح الانتلجنسيا، الذي استخدم لأول مرة بروسيا في القرن السابع عشر للإشارة إلى النخبة المثقفة[4].

وواضح أن تعريف الجابري استقاه من تعريف تايلر للثقافة، وتعريف برهان غليون تغلب عليه النظرة الحتمية الإجتماعية لدوركايم. أما التعريف الذي ربط مفهوم المثقف بالوظيفة الإجتماعية، فتغلب عليه النزعة البرغماتية أما التعريف الأخير فلا يمكن للمثقف أن يكون مقلدا وتابعا، بل يجب أن يكون مبدعا ومتبوعا، لأن المثقف هو الذي يضيف إلى المعرفة جديدا يمكنه من المساهمة في حركة التاريخ والمجتمع، وهو الذي يستطيع أن يبلور وعيه المعرفي في عقيدة يشارك بما في البناء الحضاري وحركة التاريخ.

---

[1] – برهان غليون وآخرون: المثقف العربي همومه وعطاؤه (تهميش المتقفين ومسألة بناء النخبة القيادية)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995، ط1، ص 86.

[2] – ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2002، ط3، ص155.

[3] – خير الدين حسيب وآخرون: ندوة المثقف العربي ومهامه الراهنة، مجلة المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد51، 1983، ص 112،113.

[4] محمد الدقس وآخرون: الانتلجنسيا العربية المثقفون والسلطة (الانتلجنسيا العربية الواقع والطموح ملاحظات أولية)، عمان: منتدى الفكر العربي بالتعاون مع اتحاد المحامين العرب والجمعية العربية لعلم الاجتماع، 1988، ط1، 141.

3- تعريف المثقف: إستنادا إلى التعريفات والمفاهيم السابقة للثقافة والمثقف ينتج ما يلي: المثقف هو الذي انفتح قلبه ونضج عقله واستيقظ ضميره واستقام سلوكه وأصبح مرهف الحس والوجدان وحذق في الأشياء علما وعملا، وبلغ مرتبة الفتوة وإستطاع أن يبلور رؤية معرفية جديدة يشارك بها في سيرورة البناء الحضاري وحركة التاريخ وهو الذي يتوفر على الخصال التالية:

الحرية: وتتحقق بمغالبة جميع السلطات التي تضغط على وجدان المثقف والتحرر من آثارها في نفسه.

الاستقرار الذهني: ويكون بتوفر وسائل العيش والأمن وقلة المشكلات وعدم الشقاق واعتدال السياسة وما إلى ذلك.

الثقة بالنفس: ويحصلها من إعتماده على دينه وشعوره وتفكيره وضميره ولغته، فمن فقد الشعور فقد التفكر ومن فقد التفكر فقد الدين ومن فقد الدين فقد الأخلاق ومن فقد الأخلاق فقد العلم ومن فقد العلم أصبح كالأنعام بل هو أظل سبيلا

الأمل في المستقبل: المثقف عليه ألا يقنط من رحمة الله، ويتحلى بالنظرة التفاؤلية للمستقبل[1].

الشجاعة الأدبية: المثقف يجب أن يصدع بما توحي به ثقافته ويعرض عن الجاهلين ويتصدى للجهل والخرافات.

القدوة الحسنة: المثقف يجب أن يكون قدوة ومثلا أعلى ومظهرا صادقا لكل ما يدعو إليه.

التحصيل المعرفي: تحصيل المعرفة واكتساب آليات الاستكشاف والتوصيل، يجنب المثقف الفقر المعرفي والتسول الثقافي، على أعتاب الثقافات الأخرى.

[1] عبد الله العروي: الإيديولوجيات العربية المعاصرة، تر محمد عيتاني، بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1981م، ط4، ص31.

مخالطة الناس: المثقف يجب ألا يبني لنفسه برجا عاجيا يتمرس فيه ويبقى حبيس خيالاته، بل لا بد أن ينصهر في المجتمع بخيره وشره.[1]

[1] الدكتور عمار قاسمي، المثقف والبراديغم الثوري وتفعيل الحقل المعرفي، مجلة الحوار الفكري، مجلد 14،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، 2019، ص 29.

المبحث الثالث : دور المثقف وأنواعه

أولا: دور المثقف :

أ- المثقف وسيط لا قائد: ما شاهده العالم من انهيار في القيم والنظم وانكسار لنماذج التفكير والعمل وما شاهده العالم العربي خصوصا من فشل في مساعي الوحدة ومشاريع التنمية ومن نزاعات وحروب وكوارث إجتماعية ووطنية في بعض مناطق الدولة كل ذلك يبقى الأسئلة مشتعلة حول مهمة المثقف، ودوره ويحمل على إعادة التفكير في علاقة المثقف بالدولة والمجتمع وهذه العلاقة كانت في أكثر الأحيان سلبية، عقيمة وأحيانا مدمرة خصوصا في البلاد العربية حيث تعاطي المثقف مع السلطة والمادية والمجتمع بعقل طوباوي حالم أو بمنطق إيديولوجي مغلق .

هذا بالنسية إلى أكثر المثقفين الذي تقوم علاقتهم بالسلطة السياسية على النفي المتبادل والمقصود بهم هؤلاء الذين ينفون حقيقة السلطة ومشروعيتها فتعتمد السلطة إلى إقصائهم أو سجنهم أو تصفيتهم، أما القسم الأخر من المثقفين فهم الذين التحقوا بالسلطات والدول وعملوا في خدمتها كأجهزة إيديولوجية للموارد أو تدمير للمكتسبات.

والنتيجة في الحالتين واحدة: العجز والهامشية أو الضعف والهشاشة سواء تعلق الأمر بالمثقف المعارض للسلطة أو بالمثل السائر في ركابها [1]

وآية ذلك أن المثقف فقد فاعليته لأنه لم يعمل بخصوصية وأعني بالخصوصية هنا إطلاع المثقف بدوره الخلاق في إنتاج الفكر وصناعة المعرفة فهذا هو رهباني: خلق واقع فكري جديد بإنتاج أفكار جديدة أو بتغيير نماذج التفكير أو بابتكار ممارسات فكرية جديدة أو بإعادة إبتكار الأفكار القديمة على أرض الممارسات وفي أتون التجربة.

[1] غالي شكري، **اشكالية الإطار المرجعى للمثقف، والسلطة**، في **مجلة المستقبل العربي**، العدد114، سنة 1988، ص 22.

لقد تناسى المثقف دوره، صارفا جل إهتمامه إلى إقحام مقولات على الواقع بطريقة تبسيطية تعسفية ارتدت عليه فكان هو ضحيتها أو كان المجتمع هو الضحية لدى محاولات تطبيقها فالعلاقة بالأفكار هي علاقة الخلق والإبداع سواء تعلق الأمر بإنتاجها وتوليدها أو بتوظيفها واستثمارها.

بهذا المعنى لا يصح الحديث عن التطبيق بقدر ما يصح عن إعادة الإنتاج أو الابتكار والترميم المتواصل للفكر في ضوء ما يحدث.

وهكذا اكتفى المثقف الذي يمثل أهل الفكر بالترويج والاستهلاك بالدعوى إلى التبني والتطبيق دون الخلق وتوليد الأفكار وخلق المفاهيم حول المجتمع والعالم مما يؤدي إلى خلق الواقع الذي لا يتغير ما لم ننسج معه علاقات جديدة بتغيير أفكارنا حوله أو إعادة صياغته على مستوى الفكر أو بجعله مجالا للإبداع الفكري. من هنا بدأ المثقف عاجزا عن تغيير ما أراد تغييره؛ وجهله المركب بمهمته وبالواقع، أفضى إلى ممارسة التعسف والإستبداد .

وفي أي حال أن المثقف كما تخيل دوره ومارس علاقته بفكره هو الوجه الآخر للسياسي كلأهما وجهان لعملة واحدة تجعل من المثقف البديل السيئ للسياسي المحترف كما تجعل من السياسي مجرد مثقف رديء وفاشل من هذا المثقف الذي ينتقد بعنف الأنظمة والسلطات السياسية، أن العلاقة بين المثقفين تقوم غالبا عادة التسلط والاستيعاد وممارسة العنف بالكلام الجارح غير أن مثقفين يتناسون ذلك مركزين نقدهم على السلطات[1] .

ب- المثقف كمواطن: لا يخلو المجتمع من مجموعة من أبنائه وظيفتها تفسير كوامن الظواهر الطبيعية والنقدية والإجتماعية وتحليل المشكلات والأزمات وما يعترض المواطنين في حياتهم اليومية في مجموعة تملك أنواعا ومستويات من المعرفة توصلت إليها عن طريق التبصر العلمي.

[1] علي حرب، **أوهام التحية ونقد المثقف**، مركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة. 2004 – 452.

فطالما امتزج دور المثقف بدوره كمواطن فمعنى ذلك أنه له روابط متينة بين وظيفته وبين المجتمع الذي ينتمي إليه، إذ كلما ازدادت الحاجة إليه بسبب ما يتمتع به من عمق في التفكير والقدرة على التحليل المواقف. ازدادت مكانته الإجتماعية قوة ومهامه تعقيدا، بعكس ما إذا كان ضيق التفكير ضحل المعرفة فان المجتمع سوف يسحب منه الوظيفة التي أوكلها له. يبرز دور المثقف في مجتمعنا من حيث جهوده في تنظيم علاقتنا كمواطنين في مجتمع متغير، تتخلله أثناء تطوره هزات في قيمة الإجتماعية والأخلاقية، إذ لا يمكن وهذه الحالة أن يقف المثقف بعيدا تاركا المواطنين يتخبطون في خضم صراع القيم والمواقف الجديدة التي تطرأ على حياتهم ولا يعرفون كيف يواجهونها كما لا يجدون لها تفسيرا خصوصا وان مجتمعنا يجتاز اليوم تحولات إجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية، نتيجة للتغيرات الثورية التي مست بناءه كما مست مختلف مستوياته الإجتماعية والطبقية بحيث لم يعد من السهل تعبئة الرأي العام الجزائري وتوجيهه الا عن طريق الفئة المثقفة الواعية بدورها الوطني في تنوير المواطن بما تتضمنه الأوضاع الإجتماعية الحالية والتحولات الثورية كما وكيفا حتى لا يقع فريسة أنواع من الإشاعات والدعايات المضادة للثورة، إذ من المعروف أن الإشاعات والحرب النفسية تنشط في فترات الثورية الإجتماعية والإصلاحات الكبرى بهدف تعميق ما يحدث نتيجة لتلك الثورات من هوات الثقافية ونشر السخط والتذمر بحيث يجد المواطن نفسه وقد نسي دور الإجتماعي الاصلي ليصبح همه الوحيد إشباع رغباته المكبوتة .

تتضح المشكلة اذن بالنسبة للمثقف في هذه المرحلة في مدى تمكنه من التقريب بين الوجود الإجتماعي في ظل الثورة وبين طبيعة البناء الإجتماعي التقليدي وهنا تظهر أهمية التركيز على مفاهيم العمل الجماعي والقيم الجماعية واشاعة التدابير الوقائية ضد عوامل تفكك الوحدة الجماعية عن طريق التصدي للاتجاهات الغريبة على مجتمعنا والتي لا تخدم إلا أهدافا أجنبية أو فئات وطنية لا تزال تعيش على بقايا ما قبل سنة 1954[1].

[1] محمد السويدي، **مقدمه في دراسة المجتمع الجزائري(تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر** ص 1986/45.

فإنّ توصيفات الدّور عديدة ومتعدّدة، لكنّها ترتكز أساسا على ما يحتاجه المجتمع العربي، ما بعد أحداث الرّبيع العربي من هذا المثقّف. إنّ المطلوب من النّخبة المثقّفة هو إعادة الرّوح للثّقافة العربيّة حتى تعاود حركة الإنتاج والمساهمة في بناء الحضارة الإنسانيّة عموما. وحتّى تتحقّق هذه الغائيّات السّامية، يجب على المثقّف أن يكون مثقّفا مبدعا ومبتكرا، و"المثقّف المبدع هو الذي يعي دوره ويحدّد ما عليه أن يقوم به في مجتمعه". وفي مثل هذه المرحلة الانتقاليّة التي يمرّ بها الوطن العربي، فإنّ مهمّة المثقّف ودوره ووظيفته، إنّما تتطلّب "إصلاح الخلل بين المفكّر المجتمع، بمعنى أن ينزل إلى أرض الواقع لوصفه وتحليله وفهمه، ثم هناك تشييد مشروع حضاري قومي كتتويج لعلم المفكّر." والإصلاح لا يكون إلاّ بالعودة إلى ما دعا إليه المفكّر الكبير ياسين الحافظ، في مشروعه الحضاري المنسي، والقائم على ضرورة أن يكون الوعي مطابقا لحاجيات الواقع. والمثقّف المبدع هو الذي يكون قادرا على أن يبتكر حلولا لمشاكل الواقع انطلاقا من الإمكانات الذاتيّة المتوفّرة، وإعتمادا على القدرات المتاحة، في الزّمان وفي المكان. ويتحدّث فريديريك معتوق عن ضرورة إصلاح العلاقة بين المثقّف والمجتمع، بالحديث عن تجارب حضاريّة أخرى، مثل ألمانيا وبريطانيا والولايات المتحدة ليصل إلى خلاصة يقول فيها" وهذا يؤكّد أنّ مثقّفي هذه البلدان، أدركوا طبيعة الواقع وقضاياه، ومن ثمّ وضعوا تخطيطا واقعيّا لما يريدونه من العلم السّوسيولوجي، بما يتّفق مع متطلّبات هذه المجتمعات[1]. "

ثانيا: أنواع المثقفين

– **المثقف الأولي:** وتقصد به الشخص الملم بقضايا مجتمعه وعصره الأساسية وبالمعارف الإنسانية التي تغطيها وذلك بصرف النظر عن القيام الفعلي بالعمل من أجل هذه القضايا او عدم القيام بها حيث يمكن أن نعرفه على الإطلاق فلا نكتشفه إلي صدفة وذلك من

[1] غالي شكري، مرجع سبق ذكره ، ص31

خلال شهاداته أو عباراته وحتى من خلال أفكاره المجردة أي غير المرتبطة بالأداء العملي. حيث يستوي بمثقف وجوده وعدمه إن لم يتجاوز وضعه وينتقل لي نوع اخر من المثقفين.

– **المثقف الفعال:** ويعرف المثقف هنا بقيامه بفعل ما علمي أو فكري أو موقفي أي أنه يظهر في مجتمعه أو محيط عمله ولم كان يتميز بخصائص تميزه عن بقية زملائه غير المثقفين، ومن هذا النوع الذي يجمع بين صفة الثقافة والفعالية الصورية أو المحايدة تتفرع باقي الأنواع و هي :

– **المثقف الملتزم:** يتميز بأنه يسخر طاقاته الثقافية المختلفة من المعرفة والخبرة والاحتكاك الميداني الإجتماعي في خدمة الهدف الأساسي القومي أو الوطني أو الإنساني، ونجده في الغالب يناصر قضايا التحرير والعدالة والتنمية والتعليم والصحة مستعملا بالدرجة الأولى وغالبا وسائل التعبير وخاصية الكتابة الأدبية والصحافية والندوات.

وقد يعبر عن التزامه بالتحية أو الرسم أو حتى بالوعظ والإرشاد ويصل إلى إعلان الاضطرابات والاعتراضات في ميدان عمله.

والأصل في بروز المثقف الملتزم يعود إلى الفكر الوجودي بعد الحرب العالمية الثانية وإلى الروح النضالية عموما كما عرف بالمثقف الثوري وذلك في منتصف الستينات وبداية السبعينات حيث المد الإشتراكي العربي غير ان استعمال كلمة المثقف الثوري بدأت تغيب تماما وذلك انحصار الأفكار الثورية وتراجع الاشتراكية وموجات العمل التحرري وبذلك فقد استعملت كلمة مثقف الملتزم[1] بمعنى أعم حتى يشمل كل أنواع الدفاع عن القيم والمصالح الوطنية والإنسانية .

المثقف الوصولي : وهو الذي يستخدم تكوينه الأولي الثقافي ويسخره من اجل الوصول إلى هدف شخصي يحق له اكبر المنافع الممكنة المادية والإجتماعية أو السياسية سواء داخل محيطه العملي أو خارجي ونجده في أشكال مختلفة مقنع أوذي وجهين يستتر وراء قيمة رائجة كالجهاد مثلا. ملامح السياسة الجديدة على المثقف.

[1] عبد الحفيظ مقدم ، **الثقافة والتسيير**، أعمال الملتقى الدولي المنعقد بالجزائر 28–30 نوفمبر 1992، ص 131–135.

تعد الطبقة الوسطى المحرك الأول لأي مشروع بناء في أي بلد، وعندما يتم ضربها فإن نتيجة ذلك تكون في توسيع قاعدة الفقراء، لأن تفكك هذه الطبقة يعني أن قلة منها ستلتحق بالفئة المحظوظة من الأغنياء وأغلبيتها سيتم إفقارها.

هذا الإفقار مس النخب السياسية التي تحاول أن تعارض سياسات الحكم. حيث انتهجت الحكومات معها سياسة العصا والجزرة. وركزت على الجانب الاقتصادي والإعلامي إضافة إلى القمع السياسي والأمني التقليديين.

1. المثقف العضوي

المثقف العضوي في فكر غرامشي هو صاحب مشروع ثقافي يتمثل في " الإصلاح الثقافي والأخلاقي في المجتمع، سعيا وراء تحقيق الهيمنة الثقافية للطبقة العاملة بصفة خاصة وللكتلة التاريخية بصفة عامة ككتلة تتألف في الحالة الإيطالية لعشرينات القرن العشرين المثقف العضوي هو الذي لديه القدرة على صياغة مشروع إصلاحي.[1]

شكل تفكير غرامشي في مسألة " المثقف العضوي " تجديدا جريئا داخل الفكر الماركسي استحق عليه غربة فكرية وسياسية وإخفاء لجل نصوصه لمدة ثلاثة عقود من طرف قادة الحزب الشيوعي الإيطالي. فكر غرامشي بمرجعية جديدة أساسها الموضعة التاريخية لدور المثقف في التغيير ما دام أن الصراع بدول أوربا الغربية – بعد فشل الأحزاب الشيوعية بهذه المنطقة في تحقيق أهدافها– هو صراع على الأجهزة الثقافية والإيديولوجية (مدرسة، كنيسة، إعلام...) وليس صراع على الجهاز السياسي للدولة وخاصة أجهزتها القمعية (شرطة، جيش).

في سياق آخر حري بنا أن نتساءل حول وعي النخبة المثقفة في الخصوصية العربية مدى وعيها/ التزامها في فهم بنية المجتمع العربي خارجها وفق ما تشعر به داخليا – الوعي الإبستيمي – من خلال إنتاج نسق علمي يساهم وبفاعلية في تشكيل وتوجيه مختلف أنساق

[1] عبد الحفيظ مقدم، مرجع سبق ذكره، ص138

المجتمع العربي تنمويا فيكون المثقف العربي هو – المثقف الملتزم – الذي قال به سارتر وإن هذه المساءلة لها مشروعيتها التاريخية والواقعية، خاصة عندما نعلم أن البنية الإجتماعية العربية اليوم تمر بمرحلة توثب– إصلاحي واسع النطاق، نتيجة للإختراق الغربي، وتأثيرات العولمة الاتصالية الغربية بشكل عام على البنى الإجتماعية العربية، التي تفرقعت من أقصاها إلى أقصاها في ثورات وانتفاضات، فهل يؤثر هذا الشكل الجديد من الاختراق في مسألة الارتباط العضوي /الإجتماعي للنخبة المثقفة العربية (المثقف العضوي) الذي قال به عالم الإجتماع الإيطالي أنطونيو غرامشي (1891–1916) (Antonio Gramsci)، في البنية الإجتماعية العربية بشكل خاص؟[1]

2. المثقف المراوغ

بعد النموذج من أخطر النماذج العربية السائدة التي ساهمت في تخريج سلالة من أنماط المثقفين المراوغين في وطننا العربي، إن المثقف المراوغ هو ذلك المفكر الزئبقي الذي يجيد فن إمساك العصا من الوسط، يقول جلال أمين عن هؤلاء: " من أسوأ من صادفت من المثقفين الذين يشاركون في الكتابة في الأمور العامة وفي التعليق على ما يجري من أحداث، نوع يتمتع بدرجة عالية من الذكاء، كما أنهم بالغي الطموح يدركون بذكائهم سوء الحال وشيوع السخط، كما يعترفون في قرارة أنفسهم بإخلاص المعارضين ورغبتهم الحقيقية في الإصلاح، ولكنهم أيضا بطبعهم قليلو الثقة بالناس وشديدو الاحتقار للجمهور وشديد العجلة فهم قليل الأمل في أن تنصلح الأحوال بسرعة بحيث ينالون ما يؤهلهم لهم ذكاؤهم من مناصب ومسؤوليات ورما مر عليهم في الماضي زمن لم يجلب لهم فيه ذكاؤهم ونشاطهم إلا الحسرة فالو على أنفسهم ألا يعيدوا الكرة فعزموا على استخدام ذكاؤهم بما يدر عليهم بالنفع والنفع السريع "[2] إن مثقف الطريق الوسط ذلك المثقف الزئبقي المراوغ، يعرف

[1] عبد الحفيظ مقدم ، المرجع السابق، ص 140.

[2] محمود عبد الفضيل، المثقف العربي سعيا وراء الرزق والجاه " احمد صدقي الدجاني، محمد عابد الجابري، برهان غليون وآخرون، في المثقف العربي همومه وعطاؤه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 1995، ص 125.

جيدا أن نجاحه في الوصول إلى ما يريد، يتطلب منه ذكاء وحيطة وحذر ويحدد جلال أمين صفات هؤلاء في النقاط التالية :

– **البحث عن مشاجب** : بمعنى الهروب من مواجهة المشكلة المطروحة وإيجاد الحلول لهما وإلقاء المسؤولية على مشاجب أخرى، فإذا كانت القضية المطروحة مثلا، هي أسلوب التفاوض مع إسرائيل بالشروط الراهنة التي تعظم المكاسب الإسرائيلية، يكتفي المفكر المراوغ بالتعبير عن أسفه للتفكك الذي أصاب الصف العربي، بل يفيض في " شرح حالة الضعف العربي الراهن من دون أن يطرح أية رقية للخروج من هذا الوضع المتردي وتحقيق درجة أعلى من التكافؤ في العملية التفاوضية الجارية ".[1]

– **المراهنة على عدم وجود بديل** : فهو لا يسعى لطرح أية رؤية بديلة أو مستقبلية بل يركز على انعدام البدائل، حيث إن كل البدائل الراهنة الممكنة أسوأ أولا تختلف كثيرا عما هو قائم أو جار، إذ القناعة كنز لا يفنى في تصور الفكر المراوغ، فلماذا الامتعاض والبحث عن البديل؟ إن المثقف المراوغ الزئبقي، في عجلة من أمره، والبحث عن البديل مسالة تستغرق وقتا لا يراهن عليه، ولذا نجده يفضل سلاما مهينا، على الدخول في معركة، فقول كلمة حق عند سلطان جائر، قد تتسبب في تعطيل غير مرغوب فيه لعملية الصعود الإجتماعي، والمطلوب دائما هو البحث عن العاجل وليس الآجل.

– **استخدام مصطلحات جديدة مراوغة:** هي خاصية المثقف المراوغ حين يطرق قضايا مجتمعه وعصره، مبتدعا في ذلك نسقا مفاهيميا يتماشى وقواعد اللعبة الفكرية المسطرة، موقفا مصطلحات جديدة ذات وقع محمود على الإسماع، وبالتالي إتقان اللعبة التفكرية والإبداعية من خلال حبكها بالمفاهيم وسبكها بإلهم الحيات والمقولات البراقة

– **عدم الشرع في الحكم:** قبل توفر البيانات الكافية، خصوصا إذا كانت هذه الأحكام موجهة إلى الطرف الآخر، إن المثقف المراوغ يخشى الزمن الذي تنعدم فيه آليات المحاسبية

[1] زهران جمال علي، تأثير الأوضاع المجتمعية على دور المثقف العربي، مجلة الوحدة العربية، العدد 40، 1988، ص 76.

الفكرية ويستعمل فيه توبة المثقفين. تنازلهم عن أحكام مسبقة – لذا يختص المثقف المراوغ بالحكمة والتعقل والتروي والتريث في إستنباط الأحكام، بعد أن يتم إجراء تحقيقا كاملا عن نوايا الطرف الآخر، بعبارة أوضح إن للمثقف الزئبقي يؤيد على الأقل في الوضع الراهن سياسية تفاوضية مع– الآخر – بضمير مرتاح، فتكون الوسطية سيدة لموقفه أيام الأخرين.

3. المثقف الترزي

يطبع نوع من المثقفين أقل موهبة وتأثيرا من المثقف المراوغ/ الزئبقي فالمثقف الترزي يكتفي عادة ما يرد إليه من تعليمات إنه ملكة لنوع من المفكرين، يجيد السير في الركاب، ويمنح ولاءه وموهبته لمن يقبض على زمام الأمور، وهو دائما في حالة جاهزية، " لتفصيل مشروعه الفكري بحسب مقاسات السلطة السياسية الراهنة، فهو مفكر كل العصور يجهد حياكة ثياب النظم وتشريعاتها ويزوقها بأحدث الأزياء الراقية المتماشية مع الراهن" المثقف الترزي، مفكر عصري بكل المعاير لا يؤرقه ماضيه السياسي أو الفكري فهو دائما في الخدمة للسيد الجديد، القابض على قيادة الأمور، وفي هذا السياق سئل أحد المثقفين المنتظرين للفاشية في ايطاليا، ما هي مقومات الفكر السياسي الفاشي، فتردد المثقف برهة ثم هداه ذكاؤه بألا يتورط في أي تحديد المبادئ وأسس قابلة للتغير كل يوم وخرج بإجابة: إن الفاشية هو ما ينطق به الزعيم اليوم.[1]

4. المثقف المقاول

مثقف مقاول الأفكار، أشبه بالمروج الرأسمالي في مجال ترويج الأفكار والمفاهيم، فهو مفكر يجيد تجهيز المشاريع البحثية بالشروط المناسبة وبالعبوة الملائمة، هو الوكيل المعتمد لاستيراد أنواع معينة من الحزم الفكرية والبحثية بالمواصفات المناسبة، لترويجها في السوق إنه يلعب وظيفة المقاول الذي يتولى تشغيل المشروعات البحثية – الأجنبية من ناحيتي التصميم والمرجعية، " مقابل عمولة مالية مباشرة أو عينية، أو استغلال فائض القيمة

[1] محمود عبد الفضيل، مرجع سابق، ص 121.

الفكري" للباحثين الشبان، إن المثقفين المقاولين من هذا النوع، هم الوسطاء الفكريين والوكلاء المعتمدين بين الداخل (المحلي) وبين مركز – الفكرية الدولية – وهم يملكون الكثير من مفاتيح الإغراء والترغيب والإفساد، كما أنهم ساعين لتكوين أجيال جديدة من الباحثين والمفكرين، بمواصفات جديدة، تناسب وجدول أعمال النظام الفكري العالمي الجديد، حتى وإن تناقضت مع الثوابت الوطنية/ المحلية والقومية.

إن المنهج المفضل لدى هؤلاء المثقفين المقاولين هو تدريب الباحثين الشبان على منهج الوضعية المنطقية، في صياغاتها المبتذلة والإستناد إلى المناهج التجريبية القائمة على البحوث والاستقصاءات العزلية الميدانية المصممة بمناهج غربية وهكذا يتم التأسيس لجماعة من المفكرين يمثلون فرعا للاستشراق الغربي بنقوش عربية وتصل الغاوية للباحثين الشبان مداها عن طريق التلويح لهم بالمال والجاه، المنح، السفريات المؤتمرات، النشر وتزيين الأمر لهم على أنهم يمثلون التاريخ القادم بينما الآخرون يمثلون الماضي البائد والتاريخ المنصرم.

5. المثقف الإجتراري

هذا النموذج من المثقفين يركن إلى الكسل الفكري ويحاول إعادة اجترار النصوص والمنجزات الجاهزة، تضعف عنده خامة الاجتهاد وروح الإبتكار، مثقف يعيش أسيرا لصياغات وقوالب جامدة تسترجع إنجازات السلف الصالح من دون تجديد أو نقد أو تمحيص، يعيش حياة سكولاستيكية لماضيه بكل المواصفات، يبحث عن مادتها في خزانة الفقه القديم الحلول والمشاكل التي يفرزها الواقع المعاصر، تحدث عنها السلف حقا أن مازق المفكر الإجتراري يكمن في أنه مفكر يسقط الماضي على المستقبل ويتذكر الماضي. [1]

6. المثقف الإنتحاري:

برز هذا النموذج من المثقفين الانتحاريين كرد فعل على تردي الحياة الثقافية والسياسية في الوطن العربي خلال الحقبة النفطية هؤلاء المثقفين اتخذوا موقفا صريحا بالانعزال الكامل عن الحياة اليومية (في طابعها المادي) وعن صخب المحافل والمنتديات

[1] محمود عبد الفضيل، مرجع سابق، ص 128.

الفكرية التي تبحث عن مواقع الضوء، والانصراف إلى الجهد البحثي الأصيل في إطار منجزات ومشاريع، حدد من خلالها المثقف لنفسه شروطه المرجعية في التفكير وقد وصل الموقف الاحتجاجي الرافض مداه لدى بعضهم بحياة انعزالية قاسية، مصر (جمال حمدان) العراق (حسن محمد سلمان)، وعلى الرغم من النهاية المأساوية لهؤلاء فإن مصيرهم الإنتحاري كان رد فعل طبيعي على كل ما هو مزيف وطارئ ودعائي ومبتذل في الحياة الفكرية والإجتماعية، سيبقى هؤلاء وآخرون رمزا للفكر الأصيل الذي يهتدي بالحق والتراث، ويرفض العيش على إكراميات وصدقات الأخر، يرفض الاستئصال والاستئجار من الغرب المهيمن، كما سيبقون رمزا للبعد عن الأضواء الإعلامية الباهرة التي تصنع من الأقزام عمالقة وتلف بالصمت خيرة الرجال وسيظل أمثال هؤلاء ضميرا حيا لأمتنا لا يموت".[1]

7. المثقف الكوني (الكوكبي):

مثقف ينفي في نموذجه الصدام مع الغرب (الاستعمار والإمبريالية) ويؤسس مشروعه فقط على مقياس النجاح المادي، في مجالات النمو والتقدم والتحديث والعصرنة، حيث يدعو إلى عملية تحرر عملاقة من عقيدة تجربة وطنية وأخرى غربية، المثقف الكوكبي يدرك أن تحرر جماهيره، قد صار في حد ذاته فعل عالمي/ كوني وليس مجرد فعل وطني، إن المثقف الكوني – حاكم إنساني– لإعادة بناء العالم العربي وتشكيله أو موقعته ضمن لوحة القرية الصغيرة وهو بالتالي يتصور فعالية وطنه في إطار انخراط عالمي تحت عناوين التعايش والحوار والتصافح الحضاري للشعوب والأمم.

بيد أن المثقف الكوني – نموذج الساعة يصطدم بلا شك في مشروعه بمسلمات: العزل والتمييز بين الشعوب، وبالتالي وجوب مراعاة الخصوصية واحرام تضاريس الوطنية وهذا يشكل له معاناة حقيقية واذن يبدو أن الكونية، أطروحة ثقيلة في مصفوفة العقل العربي: عقل يسير برأسين خصوصي / كوني، فكيف يمكن أن يوفق؟

[1] محمود عبد الفضيل، مرجع سابق، م132.

لم يتشكل إذن، في مخيال العقل العربي هذا المستوى من الوعي الذي يسمح للظهور العربي أن يقدم نفسه كأمة واحدة أمام الآخر، ولم يعد متوقعا بعد ذلك أن يمسك العقل العربي، مصيره وأمته بيده، فلقد أصبح موضوعا التاريخ كولونيالي، وحتى بعد سنوات التحرر ورهان التحديث وراهن الحداثة وما بعدها، هذه التحديات وغيرها ليست أكثر من إختبارات تاريخية انتهت بالفشل، لم يدرك من خلالها العقل العربي، كيف بإمكانه أن يفهم الواقع العربي ويكتشفه كحقيقة طهرانية (صافية ونقية). [1]

إذن وضعية الفعل الفكري (المنجز المعرفي) وانسرابه في الفعل الإجتماعي ورسوخه أو تبنينه، في الأشكال الإجتماعية القائمة ووعيه بذاته (النحن العربي) وبالآخر المختلف عنه كانت ولا تزال مسألة غائبة أو مغيبة، باحثة عن الطريق، وطالما أن العقل العربي شق طريقه منذ البداية، كما أوضحنا باستهلاك الفعل الفكري لا امتلاكه، إستئجاره لا ابتكاره، كان ينتظر الإكراميات والصدقات لأن تكون حلا سحريا ناجعا يتفاعل مع نسيج الحياة الإجتماعية العربية التي ذاقت ويلات الجرح والتعديل، التجارب والإقطاعات وإصلاح الإصلاحات، وانتهى الأمر لأن تتحدد أزمة المجتمع العربي في نهاية المطاف أزمة الأفكار كما يقول مالك بن نبي: أفكار ميتة أو أفكار مسمومة، حلت بهذا المجتمع، أفكار موضوعية حلت محل الأفكار المطبوعة، هي أزمة ليست عارضة، وإنما مرض تاريخي وراثي كامن، ومن شأن هذا الحال أن تصبح الحقيقة الفكرية في اغتراب عن الحقيقة الإجتماعية، كما تصبح عملية افتكاك وغزو الموضوع كما يقول غاستون باشلار (155- 1965) محل شك لأن العقل الغربي هو من أصبح يتحكم في- رؤية- العقل العربي لواقعية الإجتماعي.

طالما أن الفكر يبقى الوعاء الحامل لهموم المجتمعات العربية وتطلعاتها حري بنا من خلال هذا البحث أن نتساءل عن ظهور النخبة المثقفة، عن مجالات تموقعها الوظائفي في خريطة مجتمعنا العربي، خصوصا أقول في هذه المرحلة الراهنة، مرحلة العولمة التي تعد

[1] لبيب الطاهر وآخرون، أمية المثقف العربي: الإبداع وازمة الفكر السوسيولوجي، الثقافية والمثقف في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1992، ص 96.

من أخطر المراحل التاريخية بالنسبة للمجتمعات التابعة، نظرا لما تحدثه من تغير في طبيعة علاقة الفكر بالواقع تجاه الكثير من المسائل إلهامة في هذه المجتمعات ومنها الخصوصية الحضارية وإلهوية القومية ودور ومكانة المفكر العربي وموقفه في التكلم في القضايا المحلية والعالمية، إذ كيف يمكن المحافظة على خصوصية ثقافية عربية – صافية ونقية – أمام تأثيرات العولمة بشكل عام، المترافقة مع جملة أطروحات ونهايات تؤسس وتأدلج لقاعدة التحرك محليا والتفكير كوكبيا.

الفصل الثاني

المثقف بين الصراعات والحياة العامة والتغيير

المبحث الأول: المثقف والحياة الإجتماعية والصراعات

أولا: شخصية المثقف من خلال الصراعات:

إن شخصية المثقف قابلة لكل الإحتمالات، قد تكون هذه الشخصية انعزالية محكومة بالتفرد والإنطواء، وقد تكون واضحة في موقفها الحيادي من الواقع خوفا من انحدارها في خانة معينة، وقد تكون شخصية متطلعة حاملة الأمراض البورجوازية الصغرى، وقد تكون حاملة اليوم الكادحين، وقد تكون شخصية متقلبة بين هذا أو ذاك، وهذه الجهة أو تلك، وقد لا تكون إلا ما تمليه اللحظة التي يعيشها المثقف.

كما يعتمد في شخصية المثقف كل شيء، ولكنها في نفس الوقت تتفاعل مع كل شيء، وهذا التفاعل هو الذي يحدد من أين للمثقف عناصر بلورة شخصيته؟ ومن أين له بالدول التي يبني عليها تلك الشخصية؟ فهو يحتلك ويتفاعل مع الإيديولوجيات المختلفة ومع الأفكار ذات التوجهات المختلفة، ومع العناصر البشرية المختلفة، ومع المواقف السياسية المختلفة.

وبناء على هذه العوامل المختلفة، فالعلاقة بين الجنوح إلى التسلق، والجنوح إلى الانحدار تجنح إلى الالتقاء، كما تجنح إلى الإختلاف. فالجنوح إلى الالتقاء يتمثل في:

أ- ماهية المثقف بإعتباره منتجا للقيم المساهمة في بلورة الشخصية الفردية والشخصية الإجتماعية بقطع النظر عن الجهة المستهدفة بتلك القيم. [1]

ب- وسائل إنتاج القيم التي تبقى هي نفسها، سواء تعلق الأمر بتسلق المثقف لو انحداره فهذا المثقف أديب، أو مسرحي، أو سينمائي، أو رسام، أو نحات، أو إعلامي، أو صحفي أو كاتب مقالات... وهكذا.

ج- التميز الإجتماعي نظرا لكون الذال يتعاملون مع الثقافة كشيء غير ضروري. ونظرا للخلط الذي يقوم بين الشيف والتعلم. ولكون المثقف يظهر في المجتمع وكأنه هو الذي

[1] محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 21.

يتحمل مسؤولية تشير القيم في المجتمع نون إعتبار الطبيعة القيم، وهل هي عامة، وهل هي خاصية بطبقة معينة. وحتى في إطار إنتاج القيم الخاصة بطبقة معينة. فإن المثقف يكون متميزا في إطار الطبقة التي ينتمي إليها، أو التي اختارها على المستوى الإيديولوجي والسياسي والتنظيمي.

أما الجنوح إلى الإختلاف فيتمثل في:

أ- كون المثقف لابد أن يكون مصنفا في طبقة معينة على المستويات الاقتصادية والثقافية والمدنية والإيديولوجية والسياسية، وقد يكون ملتحقا بطبقة أخرى غير طبقته عن طريق التسلق الطبقي أو عن طريق الانحدار الطبقي، و لذلك فالمثقف إما أن يكون منتجا للقيم المناسبة للطبقة التي ينتمي إليها في الأصل، وإما أن يكون منتجا للقيم المناسبة للطبقة التي تسلق إليها، أو التي انحدر إليها. فهذا الملف إذا لم يكن مبدئيا، وثابتا على المبادئ التي يقع بها، فإنه يتأرجح بين الطبقة الأصل، وبين الطبقة الفرع التي التحق بها متسلقا أو منحدرا.

ب- إن المثقف إذا كان مبدئيا، فإنه قد يكون مثاليا أو ماديا، والمثقف المثالي هو الذي ينتج قيمه الثقافية من القوة التي يعتمدها في اقتناعه، أو من الفكر الخرافي، أو الفكر المثالي بصفة عامة الذي يصير موجها له ومتحكما في تاج القيم التي تصير بدورها مثالية ليجعل الناس ينخدعون بتلك القيم خدمة الطبقة الممارسة للاستغلال إذا كان ينتمي إليها، أو الخدمة الطبقة التي تتطلع إلى ممارسة الاستغلال كما هو الشأن للبورجوازية الصغرى التي قد يكون جزءا منها.[1]

أما المثقف المادي، فهو الذي يقع بإعتماد المنهج العلمي ذي المنطلقات المادية في القيام بالتحليل الملموس للواقع الملموس. وبالتالي، فهذا المثقف بممارسة المنهجية العلمية

[1] محمود عبد الفضيل، مرجع سابق، ص136

المادية لا يخدم إلا مصلحة الطبقة العاملة و حلفائها إن كان يشكل جزءا منها أو انتحر إليها بعد اقتناعه بأيديولوجيتها. [1]

وانطلاقا من المنهج العلمي المادي الذي يعتمده في قراءة الواقع، فإن القيم التي ينتجها لا تخدم إلا مصلحة الطبقة العاملة وحلفائها تلك المصلحة التي تقف وراء امتلاك الطبقة العاملة و حلفائها للوعي الطبقي المنبعث من الواقع المادي و المعنوي الذي تعيشه.

وهذا الوعي هو الذي يحفزها على الانتظام في النقابات والجمعيات التي تقود نضالاتها في تحسين أوضاعها المادية و المعنوية، أو على الانتظام في حزب الطبقة العاملة الذي يقود نضالاتها من اجل القضاء على كافة أشكال الاستغلال المادي والمعنوي و بناء الدولة الاشتراكية التي تعمل على تحويل الملكية الفردية إلى ملكية جماعية لوسائل الإنتاج...

ولذلك فعلاقة الإختلاف في شخصية المثقف تتجدد بما في تدلقه في اتجاه الطبقة الممارسة للاستغلال المادي والمعنوي أو في النسخة في اتجاه الطبقة التي يمارس عليها الاستغلال. والمثقف في مثل هذه الحالة عليه أن يحسم، لأن الحسم هو الأساس، فالأساس شرط قيام أي بناء، ولكي يتسلق المثقف عليه أن يختار أساس التسلق، ولكي ينسلخ المثقف عليه أن يختار نفس الانسلاخ حتى يخطط لبناء منظومة القيم الثقافية التي يؤسس لها، وحينها يصير المثقف ثوريا كما ذهب إلى ذلك لينين قائد ثورة أكتوبر العظمى. أو يصير عضويا كما ذهب إلى ذلك المناضل الشيوعي الإيطالي غرامشي.

وقد يكون المثقف متأرجحا بين التسلق تارة، والانسلاخ تارة أخرى، فيفقد قدرته على اكتساب ثقة الجماهير الشعبية الكادحة بسبب عدم حسمه لصالح الانحياز إلى جانبها، كما يفقد ثقة الطبقات المستفيدة من الاستغلال المادي والمعنوي لنفس السبب. ومثقف من هذا النوع يتصنف مباشرة في الطبقة الوسطى الحاملة للكثير من الأمراض، وفي مقدمتها مرض

[1] حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطوّرها، الطبعة الثّانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1998. ص 59.

التذبذب، الذي يجعل هذه الطبقة نادرة للكثير من أمراضها في صفوف المجتمع بكل طبقاته بما في ذلك الطبقة المستفيدة من الاستغلال المادي والمعنوي. [1].

إن الطبقة التي يمارس عليها الاستغلال. والغريب في الأمر أن مثقفي الطبقة العاملة وسائر الكادحين الذين يشرحون الطبقات المستفيدة من الاستغلال، ومثقفي الطبقات المستفيدة من الاستغلال الذين يبتدعون كافة أشكال تضليل الطبقة العاملة وسائر الكادحين، لتبقى الطبقة الوسطى غير حاضرة في ذهن المثقفين، مع أن ممارساتها الموبوءة والمريضة تقف أمام تطور المجتمعات البشرية، وتعرقل انتقالها إلى المرحلة الأعلى في خط تطور التشكيلات الاقتصادية الإجتماعية، وتديم سلطة الاستغلال الهمجي للبشرية، وتنتقص الشعارات التي ترفعها الطبقة العاملة من اجل تضليل وممارسة الضغط على الطبقات المستفيدة من الاستغلال.

ثانيا: المثقف والحياة العامة :

إن المثقف هو ابن بيئته ومجتمعه، وحامل لهمومه وانشغالاته ومع ذلك، هل يمكن لنا أن نتصور وجود مشفق خارج هذا الإطار؟ إن الحياة العامة تبدأ منذ اللحظة التي يجهد المثقف فيها نفسه من أجل مخاطبة الغير، والعمل الثوري ما هو إلى تكملة للدور الرسولي للمثقف الذي يكون بما محاميا للسلطة أو مستشارا وموجها للمجتمع، ومشاركته في الحياة العامة تظل تتردد بين الاحتفاظ بالوجود الاقتصادي والإجتماعي وبين الالتزام والانخراط في السياسية الفعالة مرورا بالمهام الإدارية و التفكير الذهني[2]

ولا يمكن تعريف المثقف تعريفا مقبولا إلا في إطار المجتمع والثقافة، فالوظيفة بصفة عامة تضمن نوعا من الوساطة بين الكلمتين، أي بين المجتمع والثقافة، بمعنى أخر أن المثقف من خلال وظيفته يستطيع أن يتصل بالمجتمع ويمرر رسالته الفكرية التي يؤمن بها،

[1] محمد شبلي، المنهجية في التحليل السياسي، دار فوق الزهر، 2002، ص 210.

[2] Boudin Louis. Les intellectuels presses de France, Paris, 1964, p56

"ولا وجود للمثقف الذي ليست له مواقف واضحة أو خفية اتجاه المجتمع الذي يعيش فيه، فهو يكون دائما ملتزما وما الحديث عن عدم الالتزام عند المثقف إلا مجرد وهم.

لقد تحدث كارل مانهايم" عن وظيفة النخب الثقافية والتي هي الإعلام والدعاية وتجاوز المصالح الخاصة للجماعات المتصارعة، ومن ثمة تكوين الظروف تفسدها للوعي الإجتماعي و القيام بمهمة تجريب الإمكانات الجديدة وتأسيس قيم جديدة ونشرها ونقلها في أوساط الجماهير بلطف وبدون الطوية[1]. وعمل نخبة المفكرين والمثقفين يكون من أجل تحقيق التكامل في المجتمع والوحدة النقدية والمعنوية للجماعة

حيث هناك ارتباك عميق بين التغيرات التي تطرأ على البقاء الإجتماعي وبين نشأة الصفوات وانهيارها، فالحاجة إلى قادة وصفوات متميزة تزداد خاصة بعد تلك الشعوب التي تمر بمرحلة تغير إجتماعي معقد، والتي تختفي فيها طرق الحياة المألوفة كتلك التي تصبح تعيش تحت وطأة الاستعمار بعدما كانت في استقرار.

ثالثا: الموقع السياسي للمثقف :

ما أن يمر العرب بكارثة سياسية، إجتماعية، أو أزمة خانقة حتى يهاب بالمثقفين أن يجدوا الخلاص، ودلالة ذلك أن الإنسان العربي لا يزال يحتفظ للمثقفين بدورهم في الحياة، كما أن هيبة المثقف مازالت حاضرة في الوعي.

أما الدلالة الثانية، فالإنسان العربي وهو يرى العجز المادي، فإنه يدعى لتعويضه بنشاط المثقف وبالفكر الذي يتجاوز الواقع وبالمقابل، فالمثقف العربي العضوي والمنتمي كلية سرعان ما يشير قلمه في وجه الواقع المعيش رافضا و محللا وداعيا وراسما بمستقبل لكن المشكلة التي نعيشها تكمن في أن المثقف يظل مغتربا في عالم راكد.

ان الأفكار تسهم في صناعة التاريخ إذا تحولت إلى فعل سياسي. إذن المشكلة في علاقة الثقافة بالسياسة هي في تحول الممارسة الثقافية في ممارسة سياسية، ففي جانب

[1] Busino Giovani, Elite (s) et elitisme, Casbah editions, Alger, 1998.p28.

السلطة هناك طلاق بين النخبة المثقفة والنخبة السياسية، ومصدر هذا الطلاق هو أن أحدهم يريد أن يبقى العالم كما هو حفاظا على سلطته وهو تصور السياسي الرسمي، والأخر يطرح تجاوز العالم أملا في مستقبل زاهر وهو تصور المثقف العضوي.

ان المصالحة التي يطرحها البعض بين السياسي والمثقف هي غير ممكنة إطلاقا، لكن حدا منها ضروري وممكن جدا في إشارة إلى أن شروط المصالحة الأن غير قائمة بسبب أن النخبة السياسية غير ديمقراطية ولا تعترف بأهمية نشاط المثقف ومعرفته في الحياة، وبخاصة الحياة السياسية، ثم يجب أن تكون هناك هموم وطنية مشتركة بحيث يتوحد العقل السياسي مع العقل الثقافي أو أن يكون للسلطة مشروعا وطنيا قوميا يتجند له المثقف الوطني للدفاع عنه كما تجند له باقي فئات المجتمع.

فالمبادرة إذن، هي بيد السياسي قبل كل شيء فهو غالبا لا يكترث بمراكز البحث التي تعج بها الساحة الثقافية، ولا بما تعالجه من مشكلات كبرى.

ولأهمية ادراج المثقفين في الحياة السياسية عبر تكوين تجمعات ثقافية محلية أو عربي بحيث تتحول هذه التجمعات إلى أدوات ضغط، فأنتجوا الأفكار وهم يشكلون هذه التجمعات الحرة ويقيمون المؤتمرات والندوات ويصدرون البيانات، فإنهم يتحولون إلى قوة جمعية مؤثرة قد يقف خلفها جمهور من البشر الذين يتحولون إلى ارادات فاعلة لا سامعة ولا متفرجة بعدما يثبت المثقف شجاعته وقوته.[1]

لكن في الواقع أن الأزمة بين السياسي والمثقف أو المفكر والسلطان هي أزمة تاريخية مستعصية، إنها أزمة بين تعامل حر في فضاء مفتوح لا تحكمه حسابات المنفعة وبين براغماتية مفرطة تتبع من ذات الوظيفة التي يضطلع بها السياسي، ومن الموقع والأوضاع الإجتماعية تفرض عليه لغتها وقوانينها الخاصة.

[1] زياد حافظ، العقل العربي و التّجدّد الحضاري، منتدى المعارف طبعة أولى بيروت 2017. ص 45.

إن الالتزام في الموقف والوعي هما شرطان أساسيان لكي نطلق على الفرد صفة المثقف، إذا لا يمكننا أن تتصور مثقفا خارج دائرة التعبير عن وجدات الأمة، انه الضمير المعبر عن هموم الأمة وآفاقها، ومن المفترض فيه أن يدخر سلطة المعرفية لينير بها دروب نهضتها وعليه أن ينئ نفسه عن مغريات السلطة ومكاسبها كما عليه أن شارك بفعالية في صياغة مشروع النهضة وأن يقدم البرامج التي تدفع بعملية البناء والتطور الإجتماعي وأن يدع مسؤولية تحقيق ذلك للسياسي.

إن دوره هو الرقابة من بعيد وأن يكون عين الشعب ونبضه ويحب أن تتميز لغته من حيث مثاليها وصرامتها وحتى مفرداتها عن لغة السياسي.

ان عمل السياسي ينحصر في الحاضر، أما المشق فيرتو بعظه وفكره إلى المستقبل، انه يدرس الحاضر كي يستخلص منه موقفا ورؤية جديدة يفترض فيها ألا تكون معزولة عن الواقع، والنتيجة أن السياسي بطبيعته ذو عقل محافظ يخشى كل تغيير فهو يقف دائما في وجه التغيير وبالنسبة إليه الحاضر معلوم والمستقبل مجهول. وإذا كان بالإمكان التعايش مع الحاضر والتعامل معه لكونه معلوم فإن المجهول هو بحكم المعدوم فالمستقبل نتائجه غير مضمونة وربما تحتاج من السياسي إلى حسابات جديدة ومن ذا الذي يضمن له عدم تعرض تلك الحسابات للرياح والأعاصير.

هكذا إذن يقف السياسي في وجه التغيرات الإجتماعية والاقتصادية المتجهة إلى الأمام وحتى التغيرات العلمية التي تجري من حوله في مختلف حقول المعرفة يجري التعامل معها بحذر وريب.[1]

وباختصار فمهمة المثقف هي الكشف باستمرار عن قوى خلاقة جديدة في الكون والطبيعة والانسان، وإجراء تغييرات جذرية بشكل مستمر على منظومة القيم والأفكار السائدة وصولا إلى حالة أرقى وأكمل وقد تصبح الحياة عديمة بالنسبة له عندما تنتقي الغايات والواقعية كما يراها. تلك هي إذا رؤيته الخاصة لهذا الكون التي تمده بالطاقات الخلاقة وقواعد سلوكية محددة. حيث ان وجود كل من السياسي والمثقف ضرورة حضارية وإجتماعية

[1] زياد حافظ، المرجع السابق، ص45

لا غنى لها فمهما تكن نقاط التباعد والابتعاد بينهما فان كليهما بحاجة للأخر، فلا يمكن للمثقف أن يبقى أحلامه معلقة في الهواء ولكي تتحقق لا بد من السياسي الذي يؤمن بها ويحتضنها ويعمل على ترجمتها وتحويلها إلى أرض الواقع.

من المؤكد أن الوضع المأزوم في علاقة المثقف العربي: بنفسه، وبالمثقفين الأخرين، وبالجماهير، وبالثقافات الأخرى، ما هو إلا انعكاس لوضع إجتماعي وسياسي مأزوم.

وهذا يوصلنا إلى ملامسة "علاقة المثقف بالسلطة" وصانع القرار، أي: علاقة المثقف بالسياسي ، والذي هو ضمنا السلطة و عندما تقول أن الثقافة ليست مجرد نتاج فكري، ولا مجرد أفكار متداولة، فهذا يعني التأكيد على السيرورات العميقة التي تنشأ الثقافة بها ومن خلالها. وهي سيرورة رمزية ومعمارية وعقلية أكبر من مجرد النشاط العقلي الهادف، وأكثر من النشاط العقلي المنظم، فهي:

تشكل ضمن النسق الإجتماعي، نسقا فرعيا متميزا و" مستقلا بتفاعل " مع بقية الأنساق الأخرى ويتطور معها وبها، يقوم في إطار إعادة إنتاج الإجتماع البشري كإجتماع مدني مثلما يعتمد **برهان غليون**.[1]

والأصل في المجتمع أنه يكون كلا واحدا لتتفصل فيه " الثقافة " عن " السياسية عن الاقتصاد " . فهو النتيجة للتفاعل المتبادل بين مختلف هذه النشاطات والفعاليات: الروحية، والعقلية، والسياسية، والإنتاجية. وان اعترفنا بأن الثقافة وميدانها، يختلف عن السياسية وميدانها، ويختلف عن الاقتصاد وميدانه أيضا إلا أن هذا " الإختلاف " يعني " القطيعة " بقدر ما يعني تعدد آليات ونظم التوازن الإجتماعي بما يحقق نسق إجتماعي مستقر.

وعندما نتكلم عن المثقف العربي، وعن السياسي العربي، فلابد من وضع هذا التوجه ضمن إطار واضح ومحدد معبر، يتمثل بكلمة: "الوطني" و"الثقافة الوطنية": هي مجموعة من الأفكار والقيم والصيغ والتعبيرات التي لا يجب أن تقتصر على الكتابة والنصوص، فيما يجب أن تشمل أيضا: المعايير القيمية والسلوكية" التي تعتمد وتوجه، مضافا إليها الطاقات

[1] رياض قاسم، الثّقافة و المثقّف في الوطن العربي، طبعة ثانية ،مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت 2002. ص 119.

والنشاطات التي نمارسها " تعبيرا عن موقف"، أو تحديدا لعلاقة بيننا، أو مع الأخر. أي: بمقدار ماهي في مكونها فكرا، فهي " ممارسة " أيضاء وبكونها وطنية أي أنها " مقاومة " للظلم أيا كان مصدره، مدافعة عن الأرض والكرامة الوطنية تجاه أي قوة خارجية غازية عسكريا أو سياسيا أو ثقافيا، وهي تعبير عن الحق في الوطن والحرية ، ومسؤولة عن الدفاع عن الوطن والحرية[1]

إن العلاقة بين: الثقافة والمثقف، وبين السياسية والسياسي، لا تظهر سلبياتها في العموم في فترات النهوض والتقدم، بل تظهر أكثر في فترات التراجع والانهيارات، الأمر الذي يدفع لظهور بعض القناعات الخاطئة والمغرية، كحل لهذه الإشكالية. ولا بد هذا من التوضيح بأن: "العمل السياسي له منطلق وآليات ومتطلبات تجعله مختلفا عن العمل الثقافي، كما أنه يتصرف وخاصة في وطننا العربي وبكل المراحل التي مررنا بها بالبدائية، والغوغائية في كثير من الأحيان، إضافة إلى أنه قد يخضع في أغلب الأوقات الاعتبارات فنية مؤقت، وإلى رغبته وتوجيهه في إخضاع كل النشاطات والمواقف الخدمة حاجاته اليومية المؤقتة، لذلك ينشأ من هذا تناقضات ناتجة عن اختلاف النظرة، أو عن عدم تحديد طبيعة العلاقة والدور الذي يمكن أن يلعبه كل من المثقف والسياسي. [2]

ومن المؤكد أن هناك علاقة جدلية بين المثقف وبين السياسي. اذ لا يمكن أن تكون هناك سيادة بدون ثقافة. كما أن لم تتبن الثقافة دور ووظيفة تدعم فيها السياسة، وتكون تجسيدا تتبناه السياسي في عمله وممارساته. لا يعود للثقافة من معنى أو تأثير. فهما دوران مختلفان في وظائفهما، إلا أنهما متكاملان في المضمون الهادف لخدمة المجتمع وتطوره وبنائيته. إذ ان العلاقة بين الثقافة والسياسة هي علاقة اختراقية تخترق كل منهما الأخرى وتؤثر بها.

[1] رياض قاسم، المرجع السابق، ص 123.

[2] علي حرب، مرجع السابق، ص43.

فانفتاح المثقف بوعي والتزام على ذاته وعلى مجتمعه، وبالتالي على المجال السياسي .. الفاعل والممارس، وانتباه السياسي وأخذه بوعي وانفتاح على الثقافي، لابد أن ينتج عن تلك العلاقة الجدلية متغيرات منتجة وفاعلة " أكثر صحة، قد تؤدي إلى تعديل السياسي بانفتاحه هذا على الثقافة، تصويب وتصحيح فكره السياسي، وتوفر خلق إمكانيات جديدة تساعده على تصويب ممارساته وأنماط تفكيره وقراراته. فهذه العلاقة هي علاقة تبادل وعطاء وتفاعل، لابد أن تؤدي عند انتهاجها بانفتاح وموضوعية وعقلانية، إلى تغيير أو خلق أو تطوير لسياسة الفكر، وتسهم في تغيير وتطوير الواقع الفكري، والواقع السياسي، وتعود بنتائج إيجابية وصحية على المجتمع الوطن والمواطن.

وأخيرا فإنه لا يمكن هنا عزل ما سبق، عن الأزمات الثقافية والأيديولوجية وتوالدها في العالم. فالزمن الجديد ومعطياته: السياسية والاقتصادية قد أنتج ظاهرة العولمة التي تطغى في مسارها على جميع مناحي ومفاصل الحياة، ومنها على الثقافة وتستطيع ملاحظة أن معظم المفكرين والباحثين والمحللين في ملامستهم للعولمة، اعتبروا الثقافة المتأثر الأكبر بتلك العملية التاريخية الطويلة والمعقدة، والتي يتشابك فيها: السياسي والإجتماعي والاقتصادي. [1]

مما أوصل هذا السياق إلى وضع: "الثقافة "كرديف وممثل للهوية والمدافع الأصيل عنها أمام هجوم العولمة والذي يقضي على الثقافات الأضعف، ويفتت شيئا فشيئا مكوناتها المختلفة بدءا من: معتقداتها السياسية ورؤيتها للعالم، وصولا إلى الأساليب الحياتية مثل: المأكل والملبس والمسكن والعادات والعلاقات الإجتماعية. وهذا يعني أننا أمام منظومة متكاملة تبحث عن المعابر المختلفة، لتعرف نقادتها من خلال: "الأنا "و" الأخر".

[1] دلال محسن استيتيّة، المرجع السايق، ص 130.

وهنا تبرز للمثقف وظيفة ومهمة جديدة تتمثل بمسار خطين يجب أن يكون قادرا على الموازنة بينهما بدون: إفراط أو تفريط فتأثير العولمة على الثقافة تحديدا لا يمكن نكرانه أو غض الطرف عنه أو تجاهله، فهو فارض نفسه موضوعيا.

ومن هنا يأتي دور المثقفين والمتنورين بضرورة التعامل مع العولمة بمنطق عقلاني يحجب تأثيراتها الدنيئة على ثقافتنا ومجتمعاتنا وهوياتنا، ويحيد أو حتى يجير إيجابياتها التي يجب أن تترجم إلى خصوصيات لنا، بإدارة صراع حضاري معها وتجنب الصدام القسري معها. إن هذا ولا شك سيدفع أكثر إلى تأكيد انفتاح موضوعي للهوية التي يجب أن تطور مضامينها من خلال عوامل الثابت والمتغير، وإلا تحولت الهوية أو الهويات نتيجة التقوقع والتحجر، إلى مرحلة صدام تفرز من خلاله هويات قاتلة.

كما أن هناك مفهومين قد اختلطا ببعضهما البعض عند بعض المثقفين العرب، وهما مفهوم ومضمون الحداثة والعولمة مع إن هذا " الخلط " غير موضوعي خاصة إذا أحلنا كل تعبير إلى فلسفته وتاريخية.

فلسفة العولمة تقوم على محاولة القطيعة وإلغاء كل الخصوصيات المرتبطة بشعوب العالم في جميع مناحيها ومضامينها، وتحاول الوصول إلى: عالم واحد، وشعب واحد، وأساليب حياة واحدة، أنماط تفكير واحدة، مرجعية واحدة – الهيكلية التبعية العامة –[1]

أما " فليقة الحداثة": فهي مستمرة ومتراكمة لا تحمل القطيعة مع ما قبلها، بل تسعى إلى تطوير وتجديد الرؤى: الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية والبنائية على طريق التطوير والتجديد. إنها "عملية مستمرة" منذ نشوء المجتمعات، ومطروحة بشكل دائم وفق تراكمات غير قابلة "للقطيعة" المعرفية مع جميع مراحل تراكمها الإنساني التاريخي الواعي. وبرأيي .. أن كل ما يقال عن: ما قبل الحداثة – الحداثة – ما بعد الحداثة، هو تزوير فلسفي ينحو لتحقيق أغراض مختلفة خارجة عن المضمون الحقيقي المصطلح ومضمون

[1] دلال محسن استيتيّة، التغيّر الاجتماعي و الثّقافي، الطبعة الثانية، دار وائل للنشر ،عمّان 2008. ص 123

الحداثة التجديد والتطوير والتحديث الدائمين. وبكل بساطة وايجاز لا يخلان بمضمون الفكرة والنتيجة وطالما هناك اتفاق أن المراحل العليا للمثقف لابد أن توصل إلى مرحلة الإبداع فإنه يمكن أن نفهم دور المثقف من خلال إيداعه، والإبداع في أهم مناحيه، تصورات وأطروحات تتجاوز الواقع القائم: أيه ينحو دائما في الحداثة والتحديث والتطوير، حتى لو كانت تلك الأطروحات متجاوزة للإدراك والتقبل المعاش في زمان ما، ومكان ما، ومعطيات محيطه، وبما يمكن أن يطرح هذا الإبداع من: رؤى جديدة، ووعي أوسع وأعمق، وحلول مبتكرة للمعضلات والإشكاليات التي تعيشها مجتمعاتنا.

وأخيرا ومع ظهور ظاهرة – "التشكيك بأهلية المثقفين" في إمكانياتهم لرفد حركة التغيير التاريخية بأي قيمة إيجابية، هذه الظاهرة الآنية ومع ارتباطها بظروفها الذاتية والمحيطة، قد تكون مفهومة في الواقع الداخلي به سبب بعض الاستقالات، وضعف التفاعل الجماهيري، وأزمات المثقفين، إلا أنها مرفوضة كليا بمنطلقها التشكيكي والدعوة إلى التخلي عن ثقافتنا وهويتنا العربية، والقبول بالاستلاب على تحرير الثقافة العربية من "هيمنة" الروافد الخارجية الأجنبية، يجب أن يترافق مع "عدم المغالاة " في رفع جدران الحمايات الذاتية.[1]

[1] إسعاف أحمد، مقال" إشكاليّة الدّور الفاعل، مجلّة جامعة دمشق– المجلّد 30، العدد 3+4 ، سنة 2014. ص 96.

المبحث الثاني: سلطة المثقف والتغيير

أولا: سلطة المثقف

وبشأن سلطة المثقف فهناك من يقربها وهنا من ينكرها، فالصنف الأول يرى بأن المثقف كونه مطلع وعلى علم بالقضايا السيادية في مجتمعه إضافة إلى ثقافته الواسعة ومؤهلاته العلمية، فإنه يضطلع بدور مراقبة ما يجري في جميع الأصعدة السياسية والثقافية والإجتماعية ويسهر على احترام المبادئ والقيم وتطبيق القوانين وانصاف المظلومين.

ان الكاتب الحديث قد تكونت حوله هالة أشبه ما تكون بالتقديس بإعتباره معبرا عن تطلعات المجتمع المدني في مواجهة الدولة وحاملا البديل في مقابل ما هو قائم[1]، ويقول أحد أعلام القرن 18: إذا كانت الملوك قد بدأوا يحبون الحساب صوت الأمم ويحترمون حكمه فإن ذلك يفضل أفلام الكتاب[2].

وهنا تبرز سلطة الملف عندما يشتغل بالقلم ويكرس نفسه وحياته الخدمة مجتمعه ونشر الوعي وكشف الحقيقة، فسلطة المثقف في سلطة رمزية أي سلطة الكلام والكتابة، ولكنها سلطة في النهاية تمارس على النفوس والعقول بواسطة المنتوجات الرمزية المتمثلة في الأفكار والمعارف، أو في الشهادات والألقاب

إن المثقف ليس قائدا للأمة والمجتمع، انه فاعل فكري يسهم في عقلنة السياسات والمعلومات والممارسات، بهذا المعنى هو عميل بين الواقع والقرار، وبين المعرفة والسلطة أو بين المعنى والقوة، إنه يتوسط بين الدولة والمجتمع الأهلي لكي يدهم للحيلولة دون سحق الدولة للأفراد والجماعات أو دون طغيان المجتمع بقواه وطوائفه على الدولة والمجال العمومي، وذلك بقدر ما يفتح من حوارات فكرية خصبة[3].

---

[1] علي اومليل، السلطة الثقافية والسلطة والسياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1996، ص241.

[2] علمي اومليل، بالمرجع السابق، ص241.

[3] علي حرب، مرجع سابق، ص149.

ويتحدد دور المثقف من خلال علاقته بالسيارة والمجتمع، في القرن 18، كان المثقف هو الكاتب صاحب معارف جديدة يكون العلم الحديث مرجعتيها في إثبات الحقائق وهو ذو فكر فلسفي نقدي لم يعد منفصلا عن العالم، بل يحلل به تحليلا نقديا بنية المجتمع ونظام السياسة ويعيد بناءهما، وهو قد أصبح يعي قوة الرأي العام، ويتحدث عنه ويعول عليه ليدعم به سلطته الفكرية[1]، إضافة إلى هذا، فالمثقف حسب مفهوم "غرامشي" هو وسيلة اتصال وتوطيد بين مستويات البنية الفوقية والبنية التحتية.

إلا أنه وبالرغم من وجود صنف أخر من الباحثين والمشتغلين بمجال الثقافة الأنتلجنسيا والذين يقللون من دور وظيفة المثقفين في المجتمع أو حتى أنهم يضعونهم في التيار اليساري والثوري، بمعنى أنهم ينزعون عنهم كل ما هو إيجابي بالنسبة للمجتمع فبالرغم من كل هذا تبقى عبارة دور المثقف تحيل إلى مفهوم حديث للكاتب صانع الأفكار ومروجها وإلى وعي هذا الأخير في التأثير في الواقع باتجاه التغيير نحو ما يراه أفضل

ويتجلى الدور الذي ينتظر المثقف العربي بالخصوص في النقاط التالية[2]:

- إنتاج المعرفة المعمقة بوصف الواقع وتفسيره
- تعيين الرؤية الصافية الطرق النهوض والتي تعد أساسا نظريا للتغيير.
- نشر الوعي بالمعرفة و الرؤية و الذي يعد مداهمة في التغيير.

ثانيا: المثقف العربي بين الوهم والتحدي :

يرى المثقف أن للثقافة القيمة العليا، وأن الناس هم الذين عليهم أن يسعوا إليه من أجلها، لا أن يسعى هو إليهم بالخدمة والتوسل والتبعية[3]. وهذا ما يكون له كبير الأثر على دوره والمكانة التي يمنحها المجتمع إياه. فإما أن يتقرب من المجتمع ويتفهمه حتى ينال

[1] علي اومليل، مرجع سابق، ص 10.

[2] المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، السنة الرابعة، العدد 74 أبريل 1985م، ص128.

[3] على أومليل، مرجع سابق، ص140-

احترام هذا الأخير وإما أن يظل بعيدا عنه وتأخذه العزة والرفعة كأنما هو في برج عال. وفي الحقيقة الملف ليس مواطنا عاديا، وإنما له حقوق وواجبات أكثر من غيره[1].

ولأن ما يقع هو دوما مخالفا يجب أن يكون، فإن المثقف يجد نفسه أمام خيارين:

– إما أن يسعى بفكره ومواقفه إلى تغيير واقع الحال كما يفعل الدعاة المنخرطون في مشاريع الإصلاح والتغيير.

– أو أن يختار العزلة لكي يمارس هامشيته وغربة إزاء ما يحدث، معتبرا أن مجال في هذا العالم الترجمة مثله وتحقيق تطلعاته[2].

لكن وبالرغم من التعاريف التي أوردناها في السابق وتعرضت للمثقف ودوره ووظيفته فإننا نتوقف لنطرح سؤالا نظنه في غاية الأهمية ونحن بصدد تصدد موضوع النخبة المثقفة الجديدة و هو كالتالي:

ماذا نعني بالمثقف العربي؟ هل هو المفكر المتميز والمسلح بالبصيرة بمفهوم "فيبر"؟ أم هو المفكر المتخصص في أمور الثقافة والفكر المجرد البعيد عن أمور الحياة بمفهوم بارسونز؟ أم هو المثقف العضوي بمفهوم غرامشي؟ أم هو المتعلم بمفهوم الافغاني؟[3]

إن ما يهمنا في جوانب تعريف المثقف وعلاقه بالمجتمع أوفي بالدراسة هو تلك التعريفات والدراسات التي تربط بين المثقف ومجتمعه بعلاقة إيجابية، تلك العلاقة التي تجعله مسخرا لحمل هم مجتمعه ولخدمته بكل ما تحتويه الكلمة من معنى.

ونعود لنجيب على السؤال المطروح آنفا، فالمثقف العربي إذا هو ذلك المفكر الواعي بأهمية قضية الانتماء القومي والواعي بأهمية دوره في إحداث التغيير الإجتماعي القائم على

[1] Boudin Louis, Ibid, p70.

[2] علي حرب، مرجع سابق، ص50.

[3] مجموعة من المؤلفين، سو علوم اجتماع محوري، مركز دراسات الوحدة السرية، بيروت، ط2، 1989، ص146.

الإبداع التنمية مجال الفكر الجدلي المستقل والفكر الذاتي القادر على مجابهة التبعية الخارجية بأشكالها المتعددة والمتطورة[1].

ومن هنا فالمثقف العربي والجزائري على وجه الخصوص، هو مطالب بالعمل على جبهتين على الأقل قول: يتعين عليه أن يفي بكامل مسؤولياته اتجاه مجتمع المحلي، وثانيا الجاد مجتمعة العربي والإسلامي الكبير. أما الجبهات الأخرى فهي العالمية أو الكونية على حد تعبير "علي حرب" أو الإنسانية حسب تعبير ناجي نصر الذي أكد على أن الملف هو ذو رسالة انسانية.

ثالثا: المثقف والتغيير

إنّ الحديث عن التّغيير، يتجاوز الحديث عن ثورة سياسيّة لقلب نظام حكم، أو ثورة إجتماعيّة لتحقيق مكاسب ماديّة لطبقة ما. فالتّغيير هو مشروع حضاري شامل، يهدف إلى تحقيق التّحول الحضاري، ونجد تأييدا لهذا الرّأي في ما أشار إليه الدكتور حسين مؤنس، في كتابه "الحضارة، عندما عرّف التّغيير بالقول:" والمراد بالتّغيير والحركة هنا، التّغيير الحضاري أو الحركة الحضاريّة، لأنّ كل تحرّك تاريخي لا يصحبه تحوّل حضاري لا يحسب له حساب في أحداث التّاريخ." ولذلك يؤرّخ المفكّرون للثّورة الفرنسيّة باعتبارها مثلت حالة تحوّل حضاري نقلت فرنسا وأوروبا والإنسانيّة عامة من حالة حضاريّة قديمة إلى حالة حضاريّة جديدة. و كذا فهم المفكّرون الثّورة الأمريكيّة، باعتبارها مثّلت منعطفا هامّا في بناء الدّولة العصريّة. ولا يمكن فهم الدّعوة المحمّدية ورسالتها الخالدة، خارج هذه المنعطفات التّاريخيّة العظيمة التي نقلت البشريّة إلى أوضاع أفضل، وحققّت تقدّما نوعيّا في وسائل عيشهم و في أنماط السّلوك وفي أنماط التّفكير. وعليه فإنّ التّغيير بإعتباره، حركة حضاريّة تسير دوما نحو الأمام، فإنّه يتطلّب مقدّمات صحيحة من أجل أن تكون النّتائج صحيحة أيضا. وهذه المقدّمات تتمثّل في توفير أسباب التحوّل النّاجع، ومن بين هذه الأسباب، هي

[1] مجموعة من المؤلفين، المرجع السابق، ص147-

النّخبة القائدة لحركة التّغيير، وهي المثقّفون. ويقول الدكتور حسين مؤنس:" لابدّ إذن من تمهيد أو إعداد فكري حضاري لكلّ حركة تاريخيّة ذات مغزى حضاري، حتّى تأخذ الحركة معناها و مكانها الكاملين في مجرى التّاريخ، وهذا التّمهيد والإعداد الحضاري هو الذي يسمّى الوعي الحضاري، و ليس من الضّروري أن يكون هذا الوعي قائما في أذهان الجماعة كلّها لتتحرّك، بل يكفي أن تكون هناك أقليّة قائدة واعية. وهي قائدة لأنها واعية، و لا يعرف التّاريخ حركة ذات معنى حضاري أو أثر في تقدّم الجماعة الإنسانيّة كلّها إلاّ نهضت بعبئها هذه الأقليّة الواعية التي تسمّى عادة بالصّفوة أو الإيليت. *Élite* .

و يضيف في موضع آخر من كتابه، مبيّنا العلاقة الوثيقة بين النّخبة المثقّفة و بين حركة التغيير أو التحوّل الحضاري قائلا" و عندما قامت الثّورة الفرنسيّة على قاعدة من تفكير المجموعة المعروفين بالموسوعيين(يقصد فلاسفة الأنوار)،فكذلك قامت فكرة الثّورة الأمريكيّة الجديدة على أساس من كتابات المجموعة التي عرفت بإسم الاتحاديين the federalis، و هؤلاء رسموا الصّورة الحضاريّة للدّولة الجديدة ومجتمعها".

إنّ أهمية الدّور الذي تلعبه النّخبة المثقّفة هو نشر الوعي بضرورة قيام حركة تغييريّة لمغادرة ما يمكن تسميته "منطقة الرّكود الحضاري"، ومهمّة المثقّف العربي، من خلال هذه الحركة المسّماة "الرّبيع العربي"، تلقي على عاتقهم هذه المسؤوليّة الكبرى والخطيرة، وهي قيادة الحضارة العربيّة إلى أفق جديد. فالنّخبة المثقّفة في المجتمع العربي الرّاهن تلقى عليها هذه المسؤوليّات الجسام، حتى لا نظلّ ندور في حركة دائرية مغلقة، أساسها مقدّمات خاطئة ونتائج سالبة. و النخبة المثقّفة العربية التي امتلكت أدوات التّفكير وإستطاعت أن تحوز على قدرات علميّة غير مسبوقة عليها " أن تقود و توجّه و تبتكر وتبني و تنظر إلى الأمام وتحسب حساب الحاضر والمستقبل، ففي عصور النّهوض والتقدّم الحقيقي يكون العبء ملقى على كاهل الصّفوة[1]".

[1] سيّار الجميل، مقال "مفهوم المثقّف العضوي و دوره في التّغيير"، بتاريخ 29 ديسمبر 2007 http://www.sayyaraljamil.com

إنّ مشروعا للتّغيير الحضاري، في عناوينه الكبرى وفي تفاصيله الدّقيقة، يتطلّب التزاما من النّخبة المثقّفة العربيّة، بالدّفاع عن حقّ هذه الشّعوب في حياة أفضل. ودون ذلك لن ينجز التّغيير و لن تتحقّق النهضة، و سيظلّ التّقدّم حلما بعيد المنال. و أيّا كان الموقف من "الرّبيع العربي"، فإنّ هناك مكاسب لا يمكن إنكارها. وأهم مكسب هو فرض الخيار الدّيمقراطي، الذي منح بعض الشعوب العربيّة مجالات واسعة من الحرّية، فيما تناضل أخرى من أجل كسب معركة الديمقراطيّة والحرّية. وإن كانت الشّعوب قد ثارت على أوضاعها المزرية، فإنّ مهمّة النّخبة المثقّفة هي التّأسيس لمرحلة جديدة، يكون فيها للفرد العربي درجة المواطنة الكاملة. وإذا لم تفعل النّخبة المثقّفة ما يجب أن تفعله في هذه اللحظة المفصليّة من التاريخ العربي المعاصر، فإنها ستكون قد خانت شعوبها مرّة أخرى، وأضاعت فرصة التقّدم. وقد كتبنا عن هذه المسألة، في مناسبة سابقة، حيث قلنا" إنّ كسب معركة الدّيمقراطيّة، بإعتبارها كلمة السرّ في معركة التقدّم، هو أمر هو أمر موكول لا فقط إلى السّديم إلهائل من الشّعب، بل هو أمر منوط بالنّخبة أو بعهدة الإنتلجنسيا[1]".

ولكن، على هذه النّخبة أن تكون هي أيضا واعية بضرورة التّغيير الحضاري وبضرورة نقض حالة الرّكود. و إلاّ فإنّ هذه النّخبة المثقّفة ستتحوّل إلى سلطة تبريريّة للوضع القائم، وستكون "خائنة"، لطبيعة الأشياء وهي التّغيّر. يقول ياسين الحافظ في الأعمال الكاملة، منتقدا النّخبة الفكرية العربيّة التي لا تتحمّل مسؤولياتها التّاريخية في كسب معركة الدّيمقراطيّة:" لكنّ العامل الأكثر شؤما، هو خيانة الإنتلجنسيا العربيّة لقضيّة الدّيمقراطيّة، أو على الأقلّ افتقارها إلى وعي ديمقراطي يجعلها تعتبر التّغيير الدّيمقراطي للمجتمع جزءا أساسيّا من سيرورة التّقدّم العربي، و حجر الزّاوية في البناء الجديد للنّهضة العربيّة المنشودة".

إنّ التّغيير حركة، و الحركة تتطلّب محرّكات دائبة الاشتغال، وهذه المحرّكات هي النخبة المثقّفة المؤمنة بأنّ مهمّتها الأساسية في المجتمع، هي إصلاح الأوضاع الإجتماعيّة والاقتصاديّة، و عقلنة الثّقافة و علمنة التّعليم، و إعلاء قيم المواطنة و المساواة و تعزيز قيم

[1] مجموعة من المؤلفين، المرجع السابق، ص19-

العدالة و الديمقراطيّة، و تحقيق المساواة بين المرأة و الرّجل، و تعديل علاقة "المركز بالأطراف" بين المدينة و الرّيف، و بين مراكز العواصم والجهات التي تعيش تحت وطأة عقود من التّهميش. [1]

إنّ مهمّة المثقّف في مشروع التّغيير الحضاري، هي على درجة من الأهميّة القصوى، بحيث يجب على المثقّف أن ينهض بأعباء الإصلاح، والتّنميّة، وأن يقود الفكر والثّقافة إلى مستويات إبداعيّة أرحب. إنّ واجب المثقّف، يكمن في صياغة رؤية مستقبليّة، تحقق التّغيير الجذري الذي يمنع العودة إلى دولة الاستبداد والفاسد، ويمنع العودة إلى واقع التهميش وواقع غياب العدالة. وهذه الرّؤية المستقبليّة غايتها "الخروج من شرنقة الحكم السيّئ المتّسم بالاستبداد الفردي أو الجماعي والفساد الاقتصادي والإجتماعي، نحو فضاء الحكم الرّشيد القائم على إرساء دولة الحقّ والقانون و المؤسسات".

إنّ التّغيير المنشود، بما هو إصلاح و تنمية و تحديث، يستوجب مواجهة جذريّة مع قوى "القصور الذّاتي" ويستوجب تمهيدا لمخاض طويل وعسير هو مخاض ولادة وطن عربي جديد، مغايرٍ، للواقع الذي تمّ الانتفاض عليه. في أكثر من دولة عربيّة. يقول الدكتور عبد الحسين شعبان:" إنّه مخاض قد يكون طويلا و عسيرا لولادة جديدة لوطن عربي لم يعد بالإمكان الإبقاء عليه خارج الزّمن والتّاريخ، و يعيش في جزر معزولة بعيدا من التّأثير، ولعلّ تلك واحدة من الاستحقاقات المؤجّلة منذ نحو ربع قرن وترافقا مع موجة أوروبا الشرقية للتّغيير[2]".

رابعا: المثقّف و الرّهانات

إنّ رهانات المرحلة كبرى، فإنّ المثقّف يقف أمام مسؤوليّة تاريخيّة. و لعلّ المسؤوليّة تصبح أكثر جسامة عندما نعمّق النّظر في إنتظارات الإنسان العربي من حركة التّغيير التي انطلقت و إذا ما اعتبرنا أنّ مفهوم المثقّف هو مفهوم واسع يشمل النّخب العالمة المختصّة

[1] علي أسعد وطفة، مقال "المثقّف النّقدي مفهوما ودلالة" مجلّة الطريق ، بيروت ، العدد 11

[2] إبراهيم العيسوي التّنمية في عالم متغيّر،دراسة في مفهوم التّنميّة و مؤشّراتها، طبعة أولى ، درا الشروق القاهرة، سنة 2000 ص 26.

في مجالاتها، و الأدباء و المفكّرين و المتعلّمين و رجال السّياسة وغيرهم ممّن لهم دراية بواقع المجتمع و بتعقيداته، فإنّ الرّهان الأوّل المطروح على هذه النّخبة التي تتّسع قاعدتها باستمرار بفضل انتشار التّعليم، هو الإبداع و الخروج من جبّة التّقليد.

فالمثقّف العربي في فترات سابقة كان مثقّفا مقلّدا لا مثقّفا مبدعا، فهو ينقل القيم والأفكار التي نبتت و أينعت في بيئات ثقافيّة مغايرة وحاول إخضاع تلك القيم لخصوصيات مجتمعنا العربي، ففشل في اكتساب الحداثة كما فشل في تعصير الأصالة، يقول علي شريعتي في وصف هذا المثقّف:" نحن المثقّفين الذين نفكّر مثل مثقّفي أوروبا تماما، ونتّسم بنفس خصائصهم نختلف عنهم، فهم قد دقّقوا في أخذ حقائق عصرهم وتاريخهم و مجتمعهم و احتياجاته، و اتّسموا على هذا الأساس، و تحرّكوا و عملوا على هذا الأساس، أما نحن فدون سند من العصر ودون سند من مجتمعاتنا وثقافتنا و دون معرفة بالظّروف الإجتماعيّة و العصر التّاريخي و أوضاع شعوبنا و أحوالهم. أخذنا خصيصة واحدة من خصائصهم، واحدة فحسب، وعملنا بها، فأدّت إلى نتيجة عكسيّة في كلّ مكان". [1].

و عليه فإنّ المنتظر اليوم هو صعود طبقة المثقّف المبدع، الذي يؤمن بمقولة لا شرقيّة و لا غربيّة، بل يؤمن بأنّ النهّضة و التقدّم و التطوّر، هي قيم يجب أن تنبع من الحلول الذاتيّة و من النّقد الذاتي و من العقل العربي النّاقد لذاته أولا و لواقعه ثانيا.

1 -ممكنات التّغيير

لعلّه من نافل القول، إنّ هناك مجالات واسعة للتّغيير، و إنّ ممكنات التّغيير باتت حقلا إبداعيّا منفتحا بالنّسبة للمثقّف. وما على المثقّف إلاّ الانخراط للمساهمة الفعّالة، في إستنباط الحلول، و في رسم معالم الطّريق السّريعة التي ستنقل مجتمعاتنا إلى الوضع الذي نحلم به منذ عقود طويلة. إنّ التّغيير يظلّ هو المطلب الثّوري الرّاهن، وهو الرّهان والمطمح، لأنّ مجتمعاتنا ضاقت ذرعا بكلّ أنواع التّخلّف، ولم تعد لها القابليّة للعيش والاستكانة للواقع

[1] علي اومليل، المرجع السابق، ص9.

المرير الذي سجنت فيه طوال العقود الماضية. يقول عبد المالك التّميمي، معبّرا عن ممكنات التّغيير في المجتمع العربي" في ظلّ ظروف مجتمعنا العربي كأقطار متخلّفة ونامية ومجزّأة جغرافيّا وثقافيّا تكون المهمّة الأساسيّة للمثقّف العربي هي نقد الواقع بهدف تغييره للأفضل، وهذه المهمّة تتطلّب الإبداع والتّوعية المستمرّة والنّضال الدّؤوب لتكريس القيم والأهداف النّبيلة للمجتمع ..لذا فهو مطالب بالنّضال من أجل إشاعة حرّية الفكر وتطبيق الدّيمقراطيّة، وإحداث التّنمية الحقيقيّة، هذه الأهداف لا يمكن تحقيقها إلاّ بأن يكون المثقّف في طليعة المناضلين من أجلها و في الميدان. "

إنّ المستفاد ممّا سبق أنّ ممكن التّغيير الأوّل هو التّنميّة، وهي أحد أهم مطالب ثورات الرّبيع العربي. فالتّنمية هي وسيلة التّغيير الاقتصادي والإجتماعي، إذ يقول عبد العزيز الدّوري" فالتّنمية تعني تغييرا نوعيّا في بنية الاقتصاد التي تجرّ حتما إلى التّنمية الإجتماعيّة و التّقدّم العلمي والثّقافي. التّنميّة تشير إلى التّغيير الإرادي في مقوّمات المجتمع "

ممكن التّغيير الثّاني، و الذي يندرج ضمن إهتمامات المثقّف هو توجيه البحث العلمي نحو العلوم الإجتماعيّة و الاقتصاديّة، التي تصنع التحوّلات في الواقع. و توجيه البحث العلمي نحو هذه المجالات يعني، تجاوز تلك المجالات التي أشبعت بحثا، و التي لا تمكّن من تحقيق التّغيير المنشود، و المستفاد من هذا القول، هو ضرورة انفتاح الجامعة و مراكز البحوث على المحيط الاقتصادي و الإجتماعي من أجل أن يكون البحث العلمي مطابقا لحاجيات الواقع، ودون ذلك سنظلّ ندور في حلقة مفرغة من التّبعيّة ومن التّقليد. ممكن التّغيير الثالث هو المجال التّعليمي، فلا ثورة و لا تغيير، دون تعليم عصري، يستجيب لحاجيات تطوّر المجتمع، و يحقّق التّنمية المعرفيّة و الثّقافيّة. و ضمن هذا الإطار فإن المثقّف يقف في اللحظة العربيّة الرّاهنة أمام مسؤولية المساهمة في صياغة منوال

تعليمي جديد، يختلف عن ذلك الذي يضخّ أصحاب الشهائد العليا في سوق العمل دون أي إمكانات حقيقية لإدماجهم في دورات الإنتاج[1].

ممكن التّغيير الرّابع، يكمن في تعصير التّفكير الديني، وجعله خادما للتّقدّم، لا مجالا للجذب إلى الوراء. ولعلّ هذه المسألة نالت من حظّ البحث العلمي، ما لم تنله أيّ مسألة أخرى ولكنّ بالرغم من ذلك فإنّ الارتداد الذي شهده هذا التّفكير، تعيد إلى الأذهان ضرورة طرح المسألة الدّينية من جديد، بعد أن أصبحت أداة لتفتيت المجتمع. فالتّمظهرات الدّينية التي طفت على السّطح الإجتماعي (حركات إرهابية، جماعات طائفيّة ومذهبيّة تمارس القتل و العنف على إلهويّة المذهبيّة، إصطفافات طائفيّة...) برزت و كأنّها ردّة فعل على الواقع، ولكن بدل أن تكون ردّة فعل تطمح إلى المستقبل، وتجعل من الدّين جسر توحيد وصهر وارتقاء إلى الأفضل، كانت حركات " انسحاب إلى الماضي" وحركات انغلاق و تشدّد، وهذا يعيق التّقدّم و النّظر إلى المستقبل. يقول المفكّر ياسين الحافظ" إنّ إدانة الواقع الرّاهن، عندما تتحوّل إلى انسحاب صوب الماضي تحجب الرّؤية الكاملة للواقع الرّاهن من جهة وتثقل التحرّك نحو المستقبل من جهة أخرى" . والحقيقة أنّ المسألة الدّينيّة، في الحالة الرّاهنة لم تعد تثقل التّحرّك نحو المستقبل فقط، بل إنّها تعيقه إعاقة تامّة عن الحركة. وقد لا نجانب الصّواب إذا ما قلنا إنّنا في حاجة إلى حركة تنويريّة جديدة، تجعل الإنسان العربي يكتسب صفة الشّخصية " البروميثيوسية الفاعلة في التّاريخ المستعيدة نفسها من الألوهة، كالشّخصية التي ولدت في الغرب مع عصر النّهضة" . إنّ الإنسان العربي يحتاج في هذه المرحلة روح الإسلام الأوّل، الإسلام النّقي، الذي قال عنه الحافظ" لقد جاء الإسلام كعامل متمّم و لكنّه حإسم لإنجاز عملية الصّهر والتّعريب، هو الرّحم الذي احتوى أمّتنا العربيّة وحماها من التّفتّت النّهائي.. ولولا لغة القرآن لتشرذمت الأمّة العربيّة كما تشرذمت من قبل الشّعوب

[1] عبادة كحيلة ، الثّورة و التّغيير في الوطن العربي، مركز البحوث و الدّراسات الاجتماعيّة، جامعة القاهرة، طبعة أولى القاهرة ، 2005.ص 95

اللاّتينيّة" . إنّ هذه الروّح الدّينيّة هي التي نحتاجها في زمننا الرّاهن، لتجاوز حالة الانقسام المميتة.

2 –المثقّف و وسائط التّغيير

ما من شكّ في أنّ منتجات الثّورة التّكنولوجيّة، قد غيّرت عالمنا المعاصر، وفتحت الأبواب أمام المجتمعات كي تتواصل، وكي تعمّق الانفتاح، على تجارب "الآخر"، و زادت احتمالات التّأثر والتّأثير، بطريقة جعلت وسائط التّواصل الجديدة تشكّل مجتمعات افتراضيّة غير محددة إلهوّية، وعددا من هذه "المجتمعات الافتراضيّة" كان لها الدّور في صناعة التّغيير السيبراني، قبل أن ينقل التّغيير إلى الفضاء الواقعي، عبر الحركات الاحتجاجيّة في عدد من الدّول العربيّة. يقول جوهر الجموسي" وهي فضاءات ناشئة، تحوّلت في كثير من الحالات، من مجرّد فضاءات الكترونيّة للتّعبير إلى حركات إجتماعيّة سياسية موجودة افتراضيّا، وقائمة فعليّا و مؤثّرة ميدانيّا[1]. "

إنّ مثل هذا القول يثبت أنّ هناك فاعلين إجتماعيين "جدد"، يستغلون وسائط التّواصل الجماهيري، ويوظّفونها للتأثير والإقناع، و لقيادة حركة التّغيير على أرض الواقع، ما يجعل هؤلاء الفاعلين، يستحوذون على مواقع المثقّف وعلى أدواره أيضا، إذ يقول جوهر الجموسي" إنّ ما أنجزه الفاعل الإجتماعي الافتراضي العربي، الماسك بزمام وسائط الاتّصال، في بلدان الثّورات العربيّة، ينبئ بمعادلة جديدة لتشكّل القوى المدنيّة المؤثّرة في المشهد الإجتماعي والسّياسي و الاقتصادي لبلدانها"

إنّ المثقّف في هذا العالم الافتراضي المفتوح على كلّ التّيّارات، وجب عليه أن يؤسّس لنفسه مكانة ضمن هؤلاء الفاعلين الإجتماعيين، لأنّ له أسبقيّة الإبداع، وله أسبقيّة الفهم والتّحليل للظّواهر الإجتماعيّة. فالمثقّف يمتلك العنصر الأهم وهو المحتوى المعرفي الذي يؤثّث به الفضاء السّيبراني. وإذا كانت تلك الجماعات الافتراضيّة، توظف الإمكانات

[1] إبراهيم العيسوي التّنمية في عالم متغيّر ،دراسة في مفهوم التّنميّة و مؤشّراتها، طبعة أولى ، درا الشروق القاهرة، سنة 2000 ص 32.

التّكنولوجيّة من أجل "صناعة العقول" و التّحكّم فيها، وهي جماعات ذوات "هويات" متعدّدة ومختلفة، فإنّ وظيفة النّخبة المثقّفة هي نقل ساحة الصّراع من الواقع إلى الافتراضي، من أجل عقلنة الفكر ومن أجل تعزيز قيمة التّواصل مع الجماهير المتعطّشة للفكر النّير وللرّأي المعتدل. إنّ الصّراع الأكبر الآن هو في الفضاء الافتراضي، والرّهانات الكبرى لأيّ تحوّل، لن تتحقّق خارج هذا الفضاء، يقول جوهر الجموسي" يقود الافتراضي، ضمن المجتمع المعاصر، تحولات عميقة في المجتمع السّياسي عبر آلياته وبرمجياته وتطبيقاته المنوّعة، وعبر الحواسيب و الانترنيت " و شبكات التواصل الإجتماعي الالكترونيّة، وتعتبر الوسائط المتعدّدة ذات القدرات إلهائلة و غير المحدودة، إحدى أقوى الأشكال في نقل الأفكار والبحث عن معلومات وتجربة الأفكار الجديدة[1].

ولاشكّ أنّ هذه الوسائط تتيح إمكانات أفضل للإبداع وللنّشر الأفكار، أفضل مما كان متاحا، حيث أسقط العالم الافتراضي، كلّ القيود التي كانت تمنع النّخبة من التّعبير عن رأيها، كما أنّ مناخ الحرّية الذي فرضته الثّورات العربيّة والذي تدعمه وسائط التواصل التكنولوجي، يساهم في تهيئة الظّروف أمام المبدعين كي ينتجوا ويتواصلوا مع الجميع بطرق أيسر و أكثر نجاعة. [2]

خامسا: المثقّف و المجتمع

إنّ مظاهر التّغيير التي تسم الحالة العربيّة الرّاهنة، لا بدّ أن تسحب على علاقة المثقّف بالمجتمع الذي ينتمي عليه. وكما تحدّثنا في ما سبق عن ضرورة تحيين علاقة المثقّف بالسّلطة وتغييرها في اتّجاه يخدم الفرد/ المواطن، والمجتمع/ الدّولة، فإنّ علاقة المثقّف بالمجتمع يجب أن تراجع هي أيضا، حتّى يتمكّن من المثقّف من خدمة مجتمعه. ولعلّ من السّمات البارزة التي ظلّ المثقّفون يوسمون بها خلال العقود الماضيّة، هي أنّهم كانوا خادمين للسّلطة، منظّرين لها، مبرّرين أخطاء الحاكم، يسيرون في ركابه، لغايات

[1] علي شريعتي، مسؤولية المثقّف، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا ، دار الأمير للثّقافة و العلوم، بيروت 2007. ص 123.
[2] إبراهيم العيسوي، المرجع السابق، ص 35.

"أنانيّة" يحقّقون بها مصالحهم الذّاتيّة، ويتنكّرون فيها للمجتمع الذي دفع ضريبة تكوينهم والإنفاق عليهم. لا يمكن أن ننكر نشأة طبقة "المثقّف المزيّف" والتي عملت السّلطة السّياسيّة على توسيع قاعدتها، إعتمادا على مبدأي التّرهيب والتّرغيب. ويعتبر جون بول سارتر أن هذه الفئة من المثقّفين قد باعت نفسها، بحثا عن السّلطة المعنوية والرّفاهية حيث يقول "إنّ العدوّ المباشر الألدّ للمثقّف هو المثقّف المزيّف، لأنّ المثقّف المزيّف هو قبل كلّ شيء مثقّف مبيع" . وهذه الفئة من المثقّفين كانت تمثّل عائقا أمام التّحديث وأمام الإصلاح والتقدّم بما أنها كانت تعمل على تأبيد الوضع السّياسي القائم، وكانت تعرقل كلّ محاولة للإصلاح. إنّ تلك السّمة يجب أن تتغيّر ويجب أن يكون "المثقّف الوظيفي"، خادما لحركة التّغيير معبّرا عن طموحات المجتمع و تطلّعاته إلى المستقبل الأفضل.

وإذا كانت حركة التّغيير العربيّة، التي انفجرت في العام 2011، هي مقدّمة أولى لمسار طويل من التّغيير والتحديث، فإنّنا لا نجد أفضل من أنموذج مثقّف "غرامشي" لتحديد مهمّات المثقّف العربي وأدواره. و حتّى لا نغوص أكثر في هذا الجانب فإنّ علاقة المثقّف الجديدة بالمجتمع ووظيفته الرئيسيّة، تتمثّل في ضرورة الإجابة عن أسئلة الحاضر، وتقديم الحلول التي ترضي الجماهير الثّائرة. لقد كانت حركة التّغيير نابعة من أزمات اقتصاديّة وإجتماعيةّ و سياسيّة، وقيميّة. وواجب المثقّف في هذه المرحلة الرّاهنة، يتمثّل في ضرورة أن تنهض النّخبة بما هو مطروح عليها من استحقاقات. وهذه الاستحقاقات يلخّصها زياد حافظ في القول التّالي" هناك مسلّمة أنّ مفتاح التقدّم و الحضارة هو في الغرب، في ما أنجزه من تقدّم في العلوم والمفاهيم، في العلوم السّلوكية لتحليل الواقع السّياسي الاقتصادي الإجتماعي الثّقافي لمجتمعات الأمّة.[1] "

وهذا القول يثبت أن الاستحقاقات العاجلة، تستوجب انفصال المثقّف عن برجه العاجي، وتستوجب أيضا توجيه البحوث والدّراسات نحو القضايا الرّاهنة التي تمثّل شواغل

[1] عبادة كحيلة ، المرجع السابق، ص 99.

الإنسان العربي في هذه اللّحظة التّاريخيّة. ودون ذاك لا يمكن للمثقّف أن يكون ذا دور وظيفي. لكنّ الرّهان لا يقتصر على تلك القضايا التي ذكرنا، فمن واجب النخّب المثقّفة في هذه المرحلة أن تكون في صدارة المدافعين عن وحدة المجتمع، عندما تنهال سهام التّقسيم والتّجزئة. و لعلّ من تبعات الحراك العربي المنفلت في أحيان كثيرة عن كلّ الضّوابط، هو العزف على أوتار " الجماعة" من أجل تحقيق غاية "تكسير المجتمع". ذلك أنّه لا يخفى على أحد أنّه يجري إذكاء روح الجهويّة و القبليّة في أكثر من بلد عربي، و يجري إذكاء الصراع الطائفي، باستعادة رمزيّة مأساة الحسين بن علي، وشيطنة معاوية في المقابل. ولعلّه لا يخفي أيضا العمل على إذكاء روح العداء الإثني و العرقي بين العرب و الأكراد وبين العرب و الأمازيغ، كما يتمّ من حين لآخر العمل على إشعال حروب دينية بين المسلمين ومسيحيي الشّرق لإظهار المسيحيين و كأنهم أقليّة مضطهدة في محيط إسلامي متطرّف. وهذه الحرائق الإجتماعيّة كفيلة بهدم المكتسبات القليلة التي جناها المواطن العربي من هذا التحوّل السّياسي غير المكتمل إلى حدّ الآن. إنّ إذكاء نيران الفتنة الإجتماعية والطائفية والدّينيّة، ليس لها من غاية سوى استدامة الإحتراب الأهلي، لتخريب ما تبقّى من أوطان. وإذا لم تقم النّخبة المثقّفة بدورها على الوجه الأكمل، أي بعقلنة الخطاب الثّقافي والسّياسي، وبترسيخ قيم التّسامح والتّفاهم والتّعايش السّلمي، بين أفراد المجتمع الواحد، فإنّ التّغيير سيفشل، و الأهداف الكبرى لهذه الانتفاضات لن تتحقّق[1].

إنّ أهم الأسس التي قامت عليها هذه الدّراسة، تتمثّل في الوعي المطابق لحاجيات الواقع. و لذلك اهتممنا بربط دور المثقّف و وظائفه، في هذا الزّمن العربي الرّاهن، بما يحتاجه الواقع. فالتّغيير الفعلي لا يكون مجرّد صور ذهنيّة أو أحلام طوباويّة، بل هو تغيير في الواقع، أي تغيير في المجتمع و الدّولة القائميْن، لا الدّولة و المجتمع المتخيَّليْن. وحتّى تكون الوظائف و الأدوار على قدر من الوضوح، فإنّ المثقّف مطالب بأن يكون منتجا

[1] جون بول سارتر، دفاع عن المثقّفين، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب بيروت 1973. ص 180.

للأفكار و الحلول التي تغيّر الواقع الاقتصادي والإجتماعي والسّياسي والثّقافي. وبأن يكون مساهما في رسم السّياسات العمليّة التي تنجز التحوّل الكبير. وليست السّياسات، تعني ضرورة المشاركة الفعليّة في الحكم، بل من خلال إبداء الرّأي، والالتزام المطلق بالرّأي النقدي، و بالدّفاع عن مصالح المجتمع، لا الفئة الضيّقة أو الجماعة.

إنّ المطلوب في هذه المرحلة، هو بناء دولة وطنيّة عصريّة، يكون فيها الفرد مواطنا مكتمل المواطنة، وتكون فيها الدّولة خادمة للفرد، ملبيّة لمطالبه، ساعية به نحو السّعادة. لأن المواطن العربي، ليس أقل شأنا من بقيّة الشّعوب التي سبقته إلى التمدّن وإلى الحرّية والدّيمقراطيّة و إلى الرّفاه الإجتماعي و الاقتصادي. و جملة هذه المفاهيم والمطالب، هي في صلب إهتمامات الفكر العربي طوال قرن من الزّمان. وقد حان اليوم، زمن تحويل تلك الأفكار و الشّعارات إلى سياسات عمليّة في حدود الإمكانات المتاحة، و في حدود قدرة هذا المجتمع أو ذاك على هضم تلك الإصلاحات أو تقبلّه حركة التّغيير. ونحن على وعي تامّ بأنّ ممكنات التّغيير في الظّرف العربي الرّاهن أصبحت أكثر يسرا، لكنّ هذا لا ينفي وجود عوائق كثيرة مازالت قائمة، قد تجعل المثقّف غير قادر على القيام بوظائفه، حتى و إن رغب في لعب أدوار جديدة. و بما أنّ حركة التّغيير هي حركة طويلة و شاقّة، فإنّه من الطّبيعي أن تكون هناك عوائق تسدّ طريق الممكنات، ومن الطّبيعي أيضا أن يسعى الفاعلون في هذه الحركة إلى منافسة المثقّف، وافتكاك صلاحياته، خاصّة أن الوسائط الجماهيريّة فتحت الأبواب، أمام المشاركة الجماعيّة الواسعة، في صياغة القرار وفي ورشات التّفكير. ممكنات الفعل وحدوده وتأثير وسائط الاتصال الجماهير في تداخل الدوار والوظائف جون بول سارتر، دفاع عن المثقّفين، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب بيروت 1973[1] .

[1] جون بول سارتر، المرجع السابق ، ص 185.

الفصل الثالث

قراءة في كتاب نهاية الداعية لعبد الإله بلقزيز

تمهيد:

كتب عبد الإله بلقزيز الكتاب في طبعته الأولى قبل 12 عاماً وما زال موضوعه ومضمونه النقدي مشروعاً كضرورة لإحداث طفرة في وعي المثقفين من أجل إعادة التفكير في الآراء والادوار لأن كمية الادعاءات التي انطوى عليها خطاب المثقف، وكمية الأوهام التي كونّها المثقف عن نفسه فقد جاء في الكتاب نقده للمثقفين هو نقد ذاتي في الوقت نفسه فهذا الكتاب ليس هجوماً على المثقف كما قد يُظن، بل هو دفاع صادق عنه ضد الداعية، أو بقايا الداعية فيه."

كما أن عبد الإله بلقزيز قد أكد على أوضاع التي آلت إلى تكوين الأمراض لدى المثقفين وعجزهم في تطبيق مشاريعهم وعلى ضوء هذا التراجع الميداني فهل يا ترى قد يؤدي إلى إنتهاء دور المثقفين ؟

وهل هذا الإنهيار الإجتماعي والإقتصادي والفكري سببه تهميش الشامل لمشاريع المثقفين ولمركزهم الأثير.

الجانب الشكلي:

إسم الكتاب :نهاية الداعية (الممكن والممتنع في أدوار المثقفين)

الكاتب :عبد الإله بلقزيز

عدد الصفحات 181:صفحة

دار النشر: الشبكة العربية للأبحاث والنشر

الطبعة 2: 2010

التعريف بالكاتب:

أولا: نبذة عن حياة عبد الإله لقزيز

عبد الإله بلقزيز كاتب مغربي معاصر حاصل على شهادة دكتوراه الفلسفة من جامعة محمد الخامس بالرباط ويشغل منصب أمين عام المنتدى المغربي العربي في الرباط، وهو أيضاً مدير الدراسات في "مركز دراسات الوحدة العربية" في بيروت سابقاً. نشر مئات المقالات في صحف عربية عدة منها: الخليج والحياة والسفير والنهار، وقد صدر له واحد وثلاثون كتاباً .

مؤلفاته: له مؤلفات عديدة، منها

- المسألة الوطنية الفلسطينية (1989)
- زمن الانتفاضة (2000)
- في الديمقراطية والمجتمع المدني (2000)
- نهاية الداعية (2000)
- الخطاب الإصلاحي في المغرب (1996)
- الإسلام والسياسة (2001)
- الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر (2002، 2004)
- تكوين المجال السياسي الإسلامي (2005)
- كتاب الدولة والمجتمع (2008)

- الديني والدنيوي: نقد الوساطة والكهنة، منتدى المعارف، (2018)
- نقد السياسة في أمراض العمل السياسي، المركز الثقافي للكتاب 2019)
- ليليات
- الحركة

الجانب الموضوعي :

لقد كان الكتاب وضعا للمثقف في الوطن العربي حقيقة وزنهم الإجتماعي والسياسي، وعمق تأثيرهم في المجتمعات العربيّة فهي مرحلة ينفتح معها الجدل من جديد حول دور المثقف العربي في الشأن العام، بإعتباره صانعا أو مروّجا للمقولات والمفاهيم السياسية، وطبيعة علاقته بالسلطة، خصوصا بعد نتائج الربيع العربي. أسئلة حارقة تتولّد أو تتجدد في عصرنا الحالي، وتجد امتداداتها في الماضي السحيق بحثا عن فهم ممكن.

أمراض المثقفين

لا يتوانى "عبد الإله بلقزيز" في مفتتح كتابه "نهاية الدّاعية" عن إبراز أمراض المثقفين العرب التي يعتقد أنّها السبب الرئيس في ما آلت إليه أوضاع المثقفين اليوم. فيقسّم هذه الأمراض أو الأسباب إلى صنفين كبيرين، فيجعلها "موضوعيّة"، متعلقة بوضع المثقف العام وأخرى "ذاتية" وهي مباشرة متعلّقة بالمثقفين أنفسهم.

في الفصل الأول، يحدثنا المؤلف عن ما يسميه "مفارقات اللاتوازن"، فيقول إن من أبرز مفارقات المثقف العربي أنه لا يَكُفُّ عن تكرار "متلازمة رتيبة فارغة من فرط الترداد: انطواءُ فِعلِه الثقافي (أو الفكري) على دور عظيم في المجتمع والتاريخ، كما أنه "ينتدب نفسه لأداء أدوار إجتماعية يعجز عن النهوض بها" ونجده مع الشعب وضده[1].

[1] عبد الإله بلقزيز، **نهاية الدّاعية الممكن والممتنع في أدوار المثقفين**، المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان، ط1، 2000. ص .26–25

ويبدو أن المفارقات التي تُحيط بالمثقف العربي عبارة عن أعراض لبعض الأمراض الثقافية الخطيرة، والحقيقة أن المرض لا يصيب الإنسان فقط (المثقف)، بل يصيب الثقافات والحضارات أيضاً، حيث "يَعرِض لأحوال الثقافة من تبدُّل في المنازع والمزاج ما يَعرِض لأحوال الفرد، فتخلد حيناً إلى الدعة والاطمئنان، وتصيبها دهراً عوارض التوتر والقلق" لظاهر أن المثقفين العرب قد أصيبوا بأمراض عديدة شكلت عائقاً دون قيامهم بالدور المطلوب منهم للنهوض بالثقافة العربية والمجتمع العربي، وقد تعرض المؤلف لأربعة أنواع من أمراض المثقفين يمكن إجمالها في: النرجسية الثقافية يعتبر "بلقزيز"، النرجسيّة الثقافية واحدة من الأمراض التي تفتك بجسم الثقافة العربية (والثقافة الإنسانية عموما)، ويستعمل "بلقزيز"، عبارة النرجسية بمعنى حبّ الذات المرضي. ويرى الحاجة مُلحّة إلى وضع تمييز فارق بين النرجسيّة الثقافية وبين ما يتقاطع معها في شبهة الدلالة مثل الاعتداد أو الثقة بالنفس، والسّادية الثقافية (الانتشاء بتعذيب الآخرين) تعريف، "عبد الإله بلقزيز"، ذلك المنزع الجارف نحو الانتشاء بتعذيب الآخرين وبناء على ذلك فهي حالة غير سويّة وتعبّر عن اضطراب خطير في نظام الاشتغال السيكولوجي وفي توازن الشخصيّة النفسي لدى المصاب بها. ، والمازوشية (تعذيب الذات على نحو أليم)، والفوبيا الثقافية (الخوف من خطر معلوم أو مجهول المصدر.

تتعدد مظاهر وأعراض حالة الفوبيا الثقافية، المتواجدة في أفكار ونصوص مجموعة من المثقفين العرب، يكتفي "بلقزيز"، بذكر اثنين منهما على سبيل التمثيل، وهما فكرة "المؤامرة في الوعي العربي المعاصر"، ثم النزعة الحادّة إلى "رفض ثقافةّ الآخر". معتبرا أنّ فكرة المؤامرة من أكثر الأفكار ازدهارا في الثقافة العربية المعاصرة، وتتمثل اختصارا في الاعتقاد بأنّ الغرب يتآمر على الإسلام، والامبريالية والصهيونيّة تتآمران على الأمة والوطن

والعروبة، وتتآمر الحداثة المستوردة على الهويّة والأصالة، والأصولية والرجعيّة تتآمران على التقدّم.[1]

ولعل هذه الأمراض الخطيرة هي التي دفعت المؤلف إلى الدعوة إلى ضرورة العمل لإيجاد توازن نفسي للثقافة العربية يؤدي إلى إنتاج خطاب عربي سويٍّ، ولعل من أهم الأمور التي يمكن أن تساعد في تحقيق هذا الهدف: شفاء المثقفين من تلك الأمراض، واعتماد منهج التحرر الذاتي الذي "يبدأ من إخضاع الأفكار إلى محاكمة المعرفة والواقع وتأسيس الحوار والمخاطبة والنقد على معطيات الحكمين: المعرفي والواقعي، ومحاسبة النفس على قدر طاقة الفعل الذاتي. .

الفصل الثاني: زمن المراجعة

مراجعة الإنتاج المعرفي للمثقفين العرب :

يدعو المؤلف من خلال الفصل الثاني إلى مراجعة شاملة للإنتاج المعرفي لدى المثقفين وأدوارهم الإجتماعية، وقد خصص في هذا الفصل محوراً تحت عنوان: (المثقف المأزوم أو نهاية الأساطير)، حيث ذكر أن هناك ثلاثة من الأوهام والأساطير تحتاج إلى وقفة نقدية في معرض هذه المراجعة المطلوبة، وهي: أسطورة الدور الإرشادي، وأسطورة الدور الرسولي، وأسطورة الدور العلمي المحايد.

وفي هذا الإطار، حدثنا المؤلف عن "نهاية الإقطاع المعرفي"، حيث كان المثقف العربي يقدم نفسه للجمهور "بوصفه الكائن الإجتماعي الحامل لرأسمال متميز هو المعرفة"، كما حدثنا عن ما يسميه "ورطة الداعية" التي تعني أن كل مثقف عربي يكاد يكون مسكوناً بهاجس رساليٍّ ويعيش في ظل "هوس رسولي"، هذا بالإضافة إلى ظاهرة انصراف المثقف عن الشأن العام واعتكافه على الدرس والتحصيل، "لإنتاج معرفة غير مرتهنة للممارسة أو للطلب العام.".[2]

[1] عبد الإله بلقزيز، المصدر السابق، ص 50.

[2] علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 1996، ص80.

وقد ذهب المؤلف إلى أننا عندما نفتح ملف مراجعة الإنتاج المعرفي تستوقفنا ظواهر ثلاث تغري بالنقد، أولها ظاهرة التراكم المعرفي، فـ "المثقف العربي يعاني من فقر معرفي مزمن يؤثر تأثيراً حاسماً في قدرته على الإنتاج والإبداع والعطاء"، وهذا الفقر الرهيب يمثل عائقاً حقيقياً أما عملية تقدم عملية الإنتاج والإبداع.

الظاهرة الثانية تتمثل في مضمون الإنتاج الفكري، الذي يكشف عن أن المثقفين العرب يعانون من عقم في المحتوى المقدم للقراء، ويؤكد هذا العقم وجود جملة من النزعات المَرَضية لدى المثقفين، مثل: النزعة الإيمانية الوثوقية، والنزعة النصية المغلقة، ويعني ذلك أن "خطاب المثقفين العرب خطاب وثوقي مطلق، الأفكار فيه منزَّهة عن الشك واليقين متشبّعة بوهم (الامتلاك) المعرفي للحقيقة"

أما الظاهرة الثالثة فتتعلق بالأنماط المختلفة لتوظيف ثقافة المثقفين العربي واستثمارها في الحقل الاجتماعي، إذ يبدو أن معظم المثقفين العرب "أنتجوا ممارستهم الفكرية بما يجافي دورَهم المفترض: تخلوا عن وظيفة التنوير والإبداع والنقد، وانصرفوا عنها إلى ممارسة وظيفة التبرير والشرعنة."

فمازال دور المثقفين مطلوبا على الرغم من فداحة النتائج النفسية للانهيارات الكبرى التي أطاحت بطوبى المثقف الملتزم، وطوّحت به في العراء أمام الحقائق المدويّة التي استفاق عليها وعيه فإنّ "عبد الإله بلقزيز"، يؤكد أن دور المثقف مازال مطلوبا وأن الأوان لم يفت بعد لبعث الحياة في رسالة الالتزام التي حملها يوما، دون أن يعني ذلك إمكانية استئناف أوهامه الرسولية، بل عن طريق إعادة تأسيس معنى جديدا للالتزام معتبرا في ذات الحين أن الوقت قد حان كي يتخلّى المثقفون عن إفراد العوامل الموضوعية، الخارجة عن إرادتهم، بالمسؤولية عن كبوة دورهم المعرفي المطلوب، وأن يبحثوا عن أسباب ذلك في

أنفسهم، في أدوات اشتغالهم، وفي عدّتهم المعرفية، وفي القيم والقواعد التي أخذوا بها في ميدان الإنتاج الفكري.[1]

الفصل الثالث: هل انتهى دور المثقفين

طبيعة أدوار المثقفين

ماذا تبقى من دور للمثقفين؟ قد يكون هذا السؤال من أبرز الأسئلة التي لا تغيب عن أذهان المثقفين العرب، وقد ذكر المؤلف في **الفصل الثالث** أن السبب في ذلك يعود إلى "أن قدراً من الشك دبَّ في اطمئنانهم إلى دورهم التقليدي الذي أدَّوْهُ في مراحل ماضية"، كما أنه قد يرجع أيضاً إلى حقيقتين متلازمتين، تتمثل الأولى في التداعي الذي أصاب مركز المثقف في التراتبية الإجتماعية، أما الثانية فتتمثل في تداعي بضاعة المثقف أمام منتجين جدد

وهذا الأمر يدعونا إلى تقديم تفسيرٍ أكثر وضوحاً يتمثل في التصريح بأن المثقف العربي يعاني من مشاكل عديدة، ويحس بأشكال مختلفة من التهميش: التهميش الإجتماعي – الاقتصادي، والتهميش الثقافي، فالأول يتمثل في فقدان المثقفين لمركزهم الأثير في التراتبية الإجتماعية الجديدة، وانهيار وضعهم الاقتصادي والمعاشي، أما التهميش الثقافي فيعبّر عن الاستغناء المتزايد عن خدمات المثقف المعرفية التي قدَّمها في ما مضى

ولا شك أن هذا التهميش الشامل سيدفع المثقف العربي إلى التعبير عن "مشاعر الإحباط تجاه ما يَلقاهُ من معاملة غير مُنصفة"، فيبدو مضطراً إلى أن ينظر بعين الحسرة إلى موقعه الهامشي في التراتبية الإجتماعية العامة وفي وعي الجمهور أيضاً، ونحن نعتقد أنه قد يكون من غير المريح –بالنسبة للمثقف المعاصر– القول إن شعور المثقف بالظلم والحيف ليس ظاهرة جديدة، بل تعبر عن "شعور قديم لازَمَ المثقف من عصور قديمة. [2]

ومهما يكن من أمر، فإن دور المثقف العربي ما زال مطلوباً وهذا ما نجد عبد الإله بلقزيز يُصرّح به بشكل واضح عندما يقول: "في مضمار الحديث في المعرفة وفي الدور

[1] علي حرب، المرجع السابق، ص 92.

[2] عبد الإله بلقزيز، المصدر السابق، ص 62.

المعرفي للمثقفين، سيكون من باب ترويج الأوهام –أيضاً– تقديم هذا الدور وكأنه دور نبوي: النطق بالحقيقة، وهو للأسف ما توطَّن الاعتقاد به لمرحلة طويلة لدى الجمهور ولدى المثقفين أنفسهم.

عدم الحياد عن الدور المنوط بعهدتهم والانحياز إلى الجماهير:

ولعلّ الامر الواضح ان المثقف ارتضى عرض عقله ولسانه لخدمة الدولة والسلطان، وسكت عن جوره وبطشه، ودافع عنه ضدّ الخصوم والرّعيّة ولا مراء في أنّه أعمل تقليبا في النصوص المرجعيّة باحثا عما يسوّغ له عقد الولاء لصاحب الأمر "مجتهدا"، في أن يضعها في نحو يفيد الحاجة إلى ذلك ثمّ لا مراء في أنّه اعتبر الفكر والكتابة حرفة للعيش أو في حالة الاستكفاء والغنى رأسمالا للاستزادة من أنصبة الامتياز، ودربا للارتقاء. حاثًا إياه في الأثناء إلى الاستغناء عن إنتاج الرأي، على اعتبار أن هذا النمط من أنماط إنتاج القيم الثقافية والرّمزية، يبدو اليوم تقليديا رغم أنّه هو الذي صنع من المثقفين سابقا مرجعا لا غنى عنه وسلطة نافذة في الإجتماع الوطني[1]

النقد البناء للمثقف :

لا يرى "بلقزيز" مانعا من نقد المجتمع نقدا شديدا وشاملا، فهو يعيب على المثقفين العرب تجاهلهم الطويل لهذه الحاجة وسكوتهم عنها سواء كان ذلك نتيجة موقفهم من السلطة أو بسبب حاجتهم الحزبية إلى ممالأة الجمهور طمعا في كسب ودّه، الأمر الذي دفعهم إلى إفراد النقد بالسلطة دون سواها، مما جعل الحاجة ماسّة إلى ممارسة هذا النقد على المجتمع أيضا أسوة بالدولة، وذلك من أجل هذا المجتمع نفسه قبل ودون أي هدف آخر.

وكأنه يعرّض نفسه للتيار نتيجة فتحه النار على مجالات لا يملك أحد أن يقربها ورغم توقعه لفداحة الكلفة التي كان، وسيكون على المثقفين دفعها "جزاء" هذا العصيان النقدي فإنّ "بلقزيز" يرى في إعمال مِعول النّقد فيها واجب عليهم لا سبيل للحياد عنه يرقى إلى

[1] عبد الإله بلقزيز، المصدر السابق، ص 83.

مرتبة "الفريضة"، بل لعلّ ذلك النقد هو الشيء الوحيد المقدّس الذي يحتاج منهم أن يكونوا بالنسبة إليه بمثابة السدنة

تنمية الرأسمال المعرفي:

من أجل أن يظلّ دور المثقف مطلوبا على الدّوام يقتضي ضرورة تنمية الرأسمال المعرفي ويكون ذلك عبر الانفتاح الكامل على كل ما يدور في الساحة الفكرية الحديثة، والنهل منها دون تردّد، قد ترى في ذلك الانفتاح الفكري تهديدا ما للهويّة، فالتراكم لا ينشأ إلا في جدلية التفاعل بين الداخل والخارج، وليس في وسع أي ثقافة الإدّعاء بأنّها تكتفي بمصادرها ومواردها الذاتية عن أيّة مصادر أخرى ممكنة. وقد تتعاظم في حالة الثقافة العربيّة، الحاجةُ إلى الانفتاح بسبب الفارق الكبير في موارد المعرفة بينها وبين الثقافة الحديثة وبالتالي بسبب الحاجة إلى جسر الفجوة بينهما أو على الأقل التقليص من مساحتها.[1]

رغم بعض الانفتاح الذي حققته الثقافة العربيّة منذ منتصف القرن الماضي والذي تعيش اليوم على بعض ثمراته، بل هي ربما تضمن بقاءها وقدرتها على التكيّف على قاعدة نتائجه، مع وجوب الاعتراف بأنّ هذا الانفتاح يعاني اليوم من أوضاع مريرة، تتمثل خاصّة في حالة المقاومة من قبل بعض تيارات الوعي العربي التي ما تنفك عن المقاومة ضدّ أي شكل من أشكال الانفتاح بذريعة فداحة نتائجه على الهويّة والشخصية الثقافية والحضارية للأمة.[2]

النزول من عليائه وعدم الترفع:

يدعو "عبد الإله بلقزيز" المثقف إلى التخلي عن نخبويته التي يتسمك بها ويعامل الجمهور بها، من خلال التخلي عن اللغة النّظرية العالمة التي يستعملها، فهو يتحدّث بلغة

[1] عبد الإله بلقزيز، المصدر السابق، ص 95.

[2] – Julien Benda; *The Treason of the Intellectuals*; trans; Richard Aldington; New York Norton; 1969; P43.

لا يفهمها الشعب ولا يتداولها في قاموسه اليومي، في مقابل لغة العامّة الحسيّة، ثم تظهر نخبوية المثقف في الموضوعات الفكريّة المجرّدة التي يشتغل عليها. إذ الموضوعات التي يولع بها غالبا ما تكون بعيدة عن مشاغل الناس، ولا تقع في سلّم أولوياتهم فهو يهتمّ مثلا بقضية حريّة الرأي والنشر والتعبير، فيما ينشغل الشعب بمشاكل الرغيف وتأمين العيش والمسكن...، حتى ليبدو في حال التباعد هذه كل من الفريقين مشدودا إلى موجة مختلفة وكأنّهما من عالمين على درجة شديدة من التباين.

يجعل "عبد الإله بلقزيز" من هذه التقيّدات شروطا ملزمة حتى يظلّ دور المثقف مطلوبا. أمّا في غياب هذه الشروط وفي ظلّ تردّي وضع المثقف العربي فهو لا يتردّد في إعلان "نهاية الدّاعية" وبالتالي نهاية المثقف دون أن يُحمّل المسؤولية لدعاة الأصالة ممن عُرف عنهم تحزبهم التراثي، وحرصهم على تسفيه فكرة الحداثة، وتسفيه من دافع عنها بالتبشير من خلال إنتاجها نافيا أن يكونوا وحدهم الذين صنعوا هذا الجحيم الثقافي وأدخلوا الثقافة العربية في المتاهة ولكي نكون في صف "عبد الإله بلقزيز"، في عدم تحميل المسؤولية/ مسؤولية الجحيم الثقافي وحال التردّي الذي تعيشه الثقافة العربية لدعاة الأصالة دون غيرهم، معتبرين أن بعضا من المنتسبين للسلالة الحداثية مشاركين إن من قريب أو من بعيد في هذا الجحيم الثقافي، فإننّا نختلف معه أشد الإختلاف في إعتبار أن من نتائج غياب التزام المثقف بتلك التقيّدات الحكم بـ"نهاية الدّاعية.[1]

الفصل الرابع: ما بعد الداعية

التزام المثقف:

افتتح المؤلف الفصل الرابع بالحديث عن أهمية إعادة تأسيس معنى جديد لفكرة "التزام المثقف"، وقال إن أول خطوة نحو هذا الاتجاه تتمثل في أن يكفَّ المثقف عن تضخيم دوره

[1] محمد عابد الجابري، **الخطاب العربي المعاصر**، المركز الثقافي العربي، دار الطليعة، بيروت– لبنان، ط1، 1982. ص 56.

التاريخي، وأن يُقْلِعَ عن عادة انتداب النفس لأداء مهمات أعظم من حقل الثقافة ذاته، وأن يعتاد على ممارسة الأدوار التي تُناسب موقعه وحجمه في السلم الإجتماعي للقوة، وأن يعتاد على إقامة الفاصل بين ما يستطيع إنتاجه من معارف وأفكار وما يملك أن يقوم به من على سبيل تحويل تلك الأفكار إلى حقائق مادية.

وفي سياق الحديث عن السياسة الثقافية وما تبقى من دور للمثقفين العرب، أوضح المؤلف أن أكبر التحديات التي تواجه المثقفين اليوم تتمثل في "حماية الأمن الثقافي من مخاطر الاستباحة الخارجية التي تحْملها لهم التحولات والثورات العلمية الجديدة، وأن المثقفين معنيّون –أكثر من غيرهم– بحماية السيادة الثقافية والرمزية، والدفاع عن الثقافة الوطنية والقومية، مشيراً إلى أن هناك ثلاث مهمات تؤكد أن دور المثقفين ما زال مطلوباً، وهذه المهمات هي: المهمة المعرفية العلمية (التنوير)، والمهمة الإجتماعية (الحرية)، والمهمة الوطنية.

وقد ختم المؤلف كتابه بالتأكيد على ضرورة إنجاز المثقف العربي لـ" الثورة الثقافية " أولاً قبل أي ثورة أخرى، إذ "لم يَعُدْ مقبولاً منه أن يَنذر نفسه لقضية الثورة الإجتماعية والسياسية وهو لم يُنجِز بعدُ الثورة المطلوبة منه :الثورة الثقافية، الثورة التي تقاوم الجهل والأمية وسائر الأفكار والأوهام التي تصنع الحواجز أمام إمكانية التقدم الإنساني[1]"

بقي علينا أن نقول إنه بعد كل ما أصاب الثقافة العربية والمثقفين العرب من أمراض استمرت لعقود طويلة، قد يكون من الجائز لنا أن نتساءل في ختام هذه المقالة، فنقول: هل حان موعد الإعلان عن وفاة المثقفين العرب؟ أم أنّ علينا تجديد الثقة للمثقف مجدداً والبدْءُ في البحث عن علاجٍ أو لقاحٍ للأمراض الذي انتشرت في جسم الثقافة العربية وفتكت بعدد هائل من الأفكار والمثقفين؟ كي نخرج من الأزمة الصحية، فيُنجز المثقف العربي ثورة ثقافية تخدم الثقافة العربية وتُعلي من شأنها بين الثقافات الأخرى.

[1] إدوارد سعيد، صور المثقف: محاضرات ريث 1993، نقله إلى العربية غسّان غصن، راجعته منى أنيس، دار النهر، بيروت– لبنان، ط1، 1996، ص29

إنّهم –الدعاة الجدد– ينصّبون أنفسهم اليوم، كما نصّب غيرهم بالأمس أنفسهم، للنطقّ بإسم الجماعة، وترتيل القول "نيابة" عنها، معتقدين أنّهم خصّوا دون سوأهم بالحق والعلم به. وأنّهم بلغوا من العلياء في المدارك بشؤون الكون ما يسوّغ لهم –وحدهم– ملكيّة حق الكلام والرأي وعلى الآخرين فقط واجب الإصغاء. [1]

أمّا الحقيقة فهم أهلها الذين قُذفت في روعهم كما قُذفت قبلهم في روع المتصوّفة والأنبياء والأولياء، وحق المصغي في التساؤل يجب أن يكون مجرّد استيضاح الغامض من كلام المتكلّم، ولا يجوز له أن يزيد عن هذا الحدّ وكل اعتراض على رأي مالك الحقيقة الأوحد هو هتك للمعلومة هي في الأحوال جميعا تضعه في موقع الاشتباه، وعليه وحده أن يحلّ عقدته بالتوبة عن كبائر الظنّ والشكّ، أو بالعودة عن خطّ الانحراف الفكري إلى حضن الحقيقة "العلمية"[2]

يصرحون بذلك سرّا وعلانية دون أن يضعوا في اعتبارهم أنّ النص يجب أن يتجاوز حدود زمانه ومكانه الذي قيل فيه فـ"النص"، إن عانى من قيود الزمان والمكان وبات محكوما بـ"الثبات"، الذي يناقض تغيرات الظروف والمفاهيم المتغيرة دائما أصبح ولا محالة يعاني من القصور في منزلته .ذلك العلم الذي لا يقيده زمانه ومكانه الذي تجلى فيه، بل يتعالى عليهما ليضفي على الزمان والمكان مفاهيم متجددة مع مرور الزمان وتغيّر المكان، إذ ما معنى أن يكون نص مقدّس ما صالحا لكل زمان ومكان إلا هذا؟

ونتيجة لهذا الدور المخصوص الذي ما انفك الدّاعية الجديد–أو بالأحرى العائد من جديد، يضطلع به أصبح أسيرا للكلام تنعقد له الولاية، وينقاد إليه المبايعون التابعين له، الأمر الذي قد يفضى شيئا فشيئا إلى تحوّل خطاب المثقفين العرب إلى خطاب تصبح فيه الأفكار منزهة عن الشكّ والنقد، متشبّعة بوهم "الامتلاك" المعرفي للحقيقة، أمّا الرأي

[1] عبد الإله بلقزيز، المصدر السابق، ص 83..

[2] عبد الإله بلقزيز، **إشكالية المرجع في الفكر العربي المعاصر**، دار المنتخب العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1992، ص 123.

المخالف عندهم فهو لا يملك دليلا لنفسه متى استوى أمره على مقتضى مجانبة الأفكار التي يحملها المثقف .

وتكاثرت تبعا لذلك مقالات التخوين، وتقاطرت فتاوى التكفير حتى إن بعضا ممن أصابه شيء من ذلك التخوين انزوى باحثا لنفسه عن توازن يعيد لذاته الاعتبار ويرفع عنه تهمة قد لا يكون لها ولو أساس ضعيف من الشرعيّة. وخلد البعض إلى الصمت احتجاجا على الصراخ الذي يعمر المسرح الثقافي والبعض الآخر تقمّص دور التائب عن جرم لم يرتكبه لكنّه احتاج ذلك لطلب الغفران. [1]

أمّا النوع من المثقفين الذين اصابهم بعض من أصابه شيء من فتاوى التكفير، فقد خلد إلى خوفه اليومي من نهاية لا يريدها، وثمّة من ارتضى أن يتوب عما قال أو فعل من لأشياء وبعض ثالث قضى بعد إنفاذ حكم المفتي فيه، وبعض رابع مازال ينتظر...[2]

العودة إلى المثقف الداعية من جديد (المثقف والالتزام)

إنّ ما نراه في صورة هذا الدّاعية الجديد ومنهجه يظهر لنا صورة المثقف التقليدية تلك الصورة التي ارتسمت تاريخيا عبر معاينة نمط سائد من المثقفين في الحضارة العربية الإسلامية هم الفقهاء حيث كان الفقيه هو المثقف المثال في وعي الجمهور العام، بل المثقف العضوي الذي أتقن كيف يبني مركزه ومرجعيته من خلال الإصغاء إلى مطالب المجتمع والإفتاء له بلغة العامة

نعم يبدو أن هذا النموذج ينبعث من جديد ويحظى بكل آليات التقدير والتبجيل وتترسّخ مكانته بكل وظائفه التقليدية.

إنه يأخذ مكانه في الساحة الثقافية بعد أن اختفى المثقف الفلسفي أو النقدي المستقلّ من داخل الثقافة العربية الإسلامية وبعد أن سادت كل مجالات التفكير والحياة،

---

[1] عبد الإله بلقزيز، المصدر السابق، ص 110.

[2] عبد الله العروي، **العرب والفكر التاريخي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط3، يوليو1992، الفصل السابع: "**أزمة المثقف وأزمة المجتمع**"، ص205

لكن ورغم ذلك فإنّ المتابع للساحة الثقافية اليوم يلاحظ أنّ طاقة الدّاعية لم تضمحلّ، بل هي شحنت أكثر من ذي قبل مع صعود تيار" الإسلام الصحوي"، رغم التوجس في نجاعته ونجاعة خطابه ومدى تأثيره. إذ ماذا في وسع جمهور مزوّد بشعارات أن يفعل؟ وماذا في وسع مثقف يخطئ دوره المعرفي ويتقمص دورا خلاصيا نبويا في عصر لم يعد فيه أنبياء أن يفعل؟ نعم عاد الداعية اليوم وسيستمرّ، وسيكون له في كلّ عصر جمهوره الذي يصغي إليه أو يمحّضه الولاء ولكن ماذا بعد؟ ماذا يستطيع أن يفعله خطاب يجافي منطق المعرفة لينتصر للمصلحة الإيديولوجية في زمن تتحوّل فيه المعرفة إلى سلاح استراتيجي لا غنى عنه في معركة التقدّم، بل والبقاء؟.[1]

إنّ مثقفا أو داعية أو مصلحا أو مهما تكن المسميات يتبنى هذا المشروع الفكريّ الحضاريّ اليوم نعتقد أنّه لا يقدّم شيئا للثقافة العربية، سوى عوامل الإنشداد إلى الوراء وعجز عن مسايرة ركب التطوّر والتقدّم، وإن كان هذا المثقف مثقف اليوم أو داعيته الجديد يرتضي لنفسه لعب مثل هذه أدوار فإنّ الأمر قد قضي حقيقة بنهاية الدّاعية كما تقرر ذلك عند "عبد الإله بلقزيز"، وهي دعوة له إن كان حقا يريد أن يتبوّأ مكانة في صدارة التاريخ فعليه أن يصمت، وأن ينسحب من المشهد بهدوء كي يفسح فرصة للمثقف الباحث كي يزوّد ثقافته بمساهمة هي في عوز إليها، آن له أن يحترم دوره، وأن لا يتعدّى حدود المعرفة فلا يظلم نفسه[2]

لقد أزفت الساعة بالنسبة إلى المثقف بأن ينأى بنفسه عن التجاذبات من أجل التموقع داخل المجتمع وآن له أيضا أن ينشغل عن حلمه بالزعامة وأن يحرر العقل العربي من رهان سلطتي السلف والخلف، التي ما انفكت تتسع دائرة الخلاف بينهما وتضيق ظاهرا وباطنا وتتقلّب فيه موازين القوى بحسب تغيّر الخيارات السياسية وتنوّعها بين الحداثية المنفتحة

[1] عبد الإله بلقزيز، المصدر السابق، ص 132.

[2] أحمد موصللي ولؤي صافي، **جذور أزمة المثقف في الوطن العربي**، دار الفكر، دمشق–سورية، ط1، آذار/ مارس، 2002.ص 82.

على الغرب والإسلامية الحالمة بإسلام نقي صاف وليس أدلّ عليه –طبعا– من إسلام القرن الأوّل للهجرة.

لقد آن الأوان لأن يُعاد طرح السؤال من جديد، والاستعاضة عن سؤال من يقود الجماهير بسؤال من ينير وعي الجماهير لأنّ انشغال المثقف عن وظيفته التنويرية واكتفاءه بالوظيفة الأيديولوجية لخدمة مصالح ضيقة وتمرير برامج ومشاريع فكرية مستوردة قد يقتضي الأمر من أجلها تصفية حسابات ثأر قديمة لن تكون نتيجته إلا التقهقر عن سوية العصر، متمثلا ربما في خرافة في الوعي، وارتباك عال في النظر إلى الذات والعالم، ونظام بطريركي مغلق، ومنزع تواكلي متنام، واحتقار متعاظم للعمل والإنتاج، وعنف متزايد في العلاقات بين الناس، وتفسّخ فاضح في نسق القيم، ولامبالاة مفرطة تجاه الشأن العام، وتقديس أعمى للحقائق الجاهزة، وتعايش سلبي مع السائد والمألوف. قد تتحوّل نتيجة لذلك كلّه، الثورة إلى ديكتاتورية عمياء، والتنمية المستقلّة إلى تبعيّة مطلقة، والوحدة إلى تجزئة، والتحرير إلى تسليم للأرض، والتنوير إلى تكديح عقلي، والعدالة إلى إجحاف، والإبداع إلى حجر على الرأي، وسوى ذلك من المفارقات التي لا يقوى رأي على إقامة حسن جوار بينها!

لقد حان الوقت لأن يُسمح فيه للأفكار المتناقضة أن تتصارع إلى النهاية لينتج ما بعدها ويكتمل التجاوز أي ليحصل تطور نوعي في البُنى الفكرية والمعرفية وتنتج نقلة حضارية، والعمل على التسوية الكبرى بين التيارين الكبيرين داخلها: تيار العقل والنقل، وتخليص الثقافة الإسلامية من مأزقها الذي قال عنه "أدونيس"، أنّه يتمثل في عمليتي الإبداع والإتباع أو الثابت والمتحول اللذين لم يلتقيا لقاء حوار وأخذ وعطاء بل التقيا لقاء نفي وإقصاء ليعلم الجميع أن طريق الثقافة العربية إلى الإنتاج والإبداع والتقدّم لا يكون إلا عبر الحريّة، حريّة الرأي وتكريس تقاليد الحوار والإصغاء المتبادل وتأصيل قيم النسبية في التفكير ضدّ النزعات الوثوقية الإيمانية، وأن الثقافة تنمو بالتسامح والاعتراف والانفتاح، لا بالعدوان والإنكار والانغلاق. ولابد في هذا المستوى من التشديد على ضرورة دراسة التراث واستيعابه وتعلّم

الحكمة منه فما من مجتمع من المجتمعات وصل إلى قمة حضارته إلا بعد أن أجاد حسن علاقته مع تاريخه وهذا عبر تأصيله ومن ثمّ تجديده. [1]

حيث خلص الباحث في تناوله لأزمة المثقف في الواقع العربي الراهن إلى ضرورة تفكيك خطاب السلطة والقوى الرجعية معا من قبل المثقف العربي لصالح بناء ثقافة تقدمية، بما يمتلكه من قوة الفكر النقدي الواعي، واستشراف المستقبل، وممارسة النقد الهادف لتنوير الجماهير، وعدم التخلي عن الوظيفة التنويرية للداعية التقليدي بغية تحقيق التغيير نحو فضاء ثقافي عقلاني. وفي نهاية المطاف كان دعوة للمثقفين بأن يعيدوا قراءة وظيفتهم من جديد وأن يتقنوا طرح الأسئلة الحقيقية على أنفسهم، وممارسة الاعتراف بأخطائهم، والقطع مع أوهامهم، توصّلا إلى بناء دور جديد مستفيدين في ذلك من التمرين النقدي الضروري لعملهم)، في الوقت الذي لم يعد فيه النقد فعلا مشروعا بمعايير المعرفة والأخلاق فحسب، بل بات يرقى إلى المستوى التي تترتّب على المثقفين العرب على انتهاجه إذ يعدّ النقد اليوم شرطا صحيّا لازما لإعادة بناء عمران ثقافي اهترأت أساساته بالتقادم، وما لم تتمّ المراجعة النقديّة وفحص المقدّمات، والمسلمات والأدوات لن يكون في حوزة العقل العربي ما يقدّمه للمجتمع، والأمّة والتاريخ

[1] علي حرب، **أوهام النخبة أو نقد المثقف**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 1996، ص80.

الخاتمة

في الأخير يمكنني القول بأني سعيت في هذه المذكرة من خلال الإشكالية التي تطرح مسألة المثقف وأدواره الفكرية العربية الإسلامية؛ والتي استحضرت من خلالها جملة من القضايا

انطلقنا من مفهوم المثقف كتعريف عام وبعض التعريفات المختلفة التي عرفتها مجموعة من الباحثين والدارسين ثم التّركيز على أدوار المثقّف ووظائفه في العالم العربي الرّاهن، فهي تعتبر من مهمّة المثقّف، باعتبار أنّ الثّورات النّاجحة والنّاجعة في تاريخ البشريّة هي التي كانت لها مرجعيّات فكريّة، وهي التي كان المثقّفون يشكّلون حزاما حولها يمنعها من الانهيار أو من الارتداد.

لذا كانت المجتمعات العربية إلى أمسّ الحاجة في هذا الظّرف الذي انطلقت فيه حركات التّغيير في إطار عفوي، ثم اتّخذت مسارات معقّدة، إلى العقل الهادئ المفكّر غير المأخوذ بتشنّجات "الهويّات"، وغير الخاضع لسلطات فرعيّة تسعى لأخذ مكانة السّلطة العليا، التي هي سلطة العلم و المعرفة.

وقد حاولت في هذه الدّراسة من خلال اخذ المثقف المغربي " عبد الإله لقزيز نموذجا" من خلال معرفة المجالات التي يمكن للمثقّف أن ينهض فيها بوظائفه و بأدواره، ويستطيع من خلالها تحقيق التّنمية الشّاملة و التّقدّم المنشود. مثلما كان لحال من خلال كتابه " نهاية الداعية" الذي أبرز فيه أهمية المثقف ودوره في المجتمع من خلال ما يقدمه وما يبقى مفهوما لهم دون التكبر او الاخذ بالعجب من المثقف الذي اختلفت انواعه وكما حثهم على مراجعة حساباتهم وما قدمونه للناس ليختم بنهاية الداعية الذي كان ولا زال يعتبر من بين المثقّفين وربط هذا بالتزام المثقف بما يقدمه وعدم الترفع عن الناس والنزول من عليائه إنّ المثقّف في الوضع العربي الرّاهن، تعلّق عليه أمال كبرى من أجل البناء وإعادة الإعمار الرّوحي والذّهني والإجتماعي والمادّي أيضا. وهي مهمّات ليست يسيرة أو هيّنة، ولكنّ الواقع يطلبها، والمواطن العربي المكلوم والمقهور، ينتظرها.

إنّ العالم العربي الرّاهن هو "ورشة" مفتوحة على ممكنات الإصلاح، والثّورة مسار طويل ولكن هناك الكثير من العوائق تمّت إزاحتها، وأهمها تلك الأنظمة الديكتاتوريّة التي تقمع حرّية الرأي وتوصد أبواب الإبداع أمام النخبة المثقّفة. وما على هذه النّخبة في الوضع العربي الرّاهن إلاّ إثبات جدارتها، بتحويل الثّورة السّياسيّة إلى ثورة معرفيّة.

قائمة المراجع

أولا: المصدر

1. عبد الإله بلقزيز، نهاية الدّاعية الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط1، 2000.

الكتب

2. إبراهيم العيسوي التّنمية في عالم متغيّر ،دراسة في مفهوم التّنميّة و مؤشّراتها، طبعة أولى ، درا الشروق القاهرة، سنة 2000

3. إبراهيم العيسوي التّنمية في عالم متغيّر ،دراسة في مفهوم التّنميّة و مؤشّراتها، طبعة أولى ، درا الشروق القاهرة، سنة 2000

4. أحمد موصللي ولؤي صافي، **جذور أزمة المثقف في الوطن العربي**، دار الفكر، دمشق–سورية، ط1، آذار/ مارس، 2002.

5. إدوارد سعيد، صور المثقف: محاضرات ريث 1993، نقله إلى العربية غسّان غصن، راجعته منى أنيس، دار النهر، بيروت– لبنان، ط1، 1996،

6. برهان غليون وآخرون: المثقف العربي همومه وعطاؤه (تهميش المتقفين ومسألة بناء النخبة القيادية)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995، ط1،

7. جون بول سارتر، دفاع عن المثقّفين، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب بيروت 1973

8. حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطوّرها، الطبعة الثّانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1998

9. خالد الحروب: المثقفون العرب في معرض فرانكفورت "غرامشي" التوجه والالتزام؟، صحيفة الاتحاد الإماراتية، العدد 10692، الأربعاء 29 شعبان 1425/ 13 أكتوبر 2004م.

10. خير الدين حسيب وآخرون: ندوة المثقف العربي ومهامه الراهنة، مجلة المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، العدد51، 1983، ص 112،113.

11. دلال محسن استيتيّة، التغيّر الإجتماعي و الثّقافي، الطبعة الثانية، دار وائل للنشر ،عمّان 2008

12. رياض قإسم، الثّقافة و المثقّف في الوطن العربي، طبعة ثانية ،مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت 2002.

13. زياد حافظ، العقل العربي و التّجدّد الحضاري، منتدى المعارف طبعة أولى بيروت 2017.

14. عبادة كحيلة ، الثّورة و التّغيير في الوطن العربي، مركز البحوث و الدّراسات الإجتماعيّة، جامعة القاهرة، طبعة أولى القاهرة ، 2005

15. عبد الإله بلقزيز، **إشكالية المرجع في الفكر العربي المعاصر**، دار المنتخب العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1992،

16. عبد الله العروي: الإيديولوجيات العربية المعاصرة، تر محمد عيتاني، بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1981م، ط4،

17. عبد الله العروي، **العرب والفكر التاريخي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط3، يوليو1992، الفصل السابع: "**أزمة المثقف وأزمة المجتمع**"،

18. علي اومليل، السلطة الثقافية والسلطة والسياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1996

19. علي حرب، **أوهام التحية ونقد المثقف**، مركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة. 2004

20. علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 1996،

21. علي شريعتي، مسؤولية المثقّف، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا ، دار الأمير للثّقافة و العلوم، بيروت 2007

22. غالي شكري، **اشكالية الإطار المرجعى للمثقف، والسلطة**، في **مجلة المستقبل العربي**، العدد114، سنة 1988

23. لبيب الطاهر وآخرون، أمية المثقف العربي: الإبداع وازمة الفكر السوسيولوجي، الثقافية والمثقف في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1992

24. محمد الدقس وآخرون: الانتلجنسيا العربية المثقفون والسلطة (الانتلجنسيا العربية الواقع والطموح ملاحظات أولية)، عمان: منتدى الفكر العربي بالتعاون مع اتحاد المحامين العرب والجمعية العربية لعلم الإجتماع، 1988

25. محمد السويدي، **مقدمه في دراسة المجتمع الجزائري(تحليل سوسيولوجى لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري المعاصر** ص 1986/45.

26. محمد شبلي، المنهجية في التحليل السياسي، دار فوق الزهر، 2002

27. محمد عابد الجابري: المثقفون في الحضارة العربية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2000، ط2،

28. محمد عابد الجابري، **الخطاب العربي المعاصر**، المركز الثقافي العربي، دار الطليعة، بيروت– لبنان، ط1، 1982.

29. محمّد عابد الجابري، المثقّفون في الحضارة العربيّة، محنة ابن حنبل و نكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت الطبعة الثانية. 2002.
30. محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2000،
31. محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ط 3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1990،
32. محمود عبد الفضيل، المثقف العربي سعيا وراء الرزق والجاه " احمد صدقي الدجاني، محمد عابد الجابري، برهان غليون وآخرون، في المثقف العربي همومه وعطاؤه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 1995
33. ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2002، ط3،

المجلات:

34. إسعاف أحمد، مقال" إشكاليّة الدّور الفاعل، مجلّة جامعة دمشق- المجلّد 30، العدد 3+4 ، سنة 2014
35. زهران جمال علي، تأثير الأوضاع المجتمعية على دور المثقف العربي، مجلة الوحدة العربية، العدد 40، 1988،
36. عبد الحفيظ مقدم ، الثقافة والتسيير، أعمال الملتقى الدولي المنعقد بالجزائر 28-30 نوفمبر 1992
37. علي أسعد وطفة، مقال "المثقّف النّقدي مفهوما ودلالة" مجلّة الطريق ، بيروت ، العدد 11
38. عمار قإسمي، المثقف والبراديغم الثوري وتفعيل الحقل المعرفي، مجلة الحوار الفكري، مجلد 14،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، 2019،

المراجع الأجنبية :

39. Attilio Monasta، Antonio Gramsci. Prospects: The Quarterly Review of Comparative Education Paris. Unesco : International Buren Of Education Vol Xxiii No 3-4. 1993.

40. Boudin Louis. Les intellectuels presses de France، Paris، 1964، p56

41. Busino Giovani، Elite (s) et elitisme، Casbah editions، Alger، 1998.p28.

42. Julien Benda; The Treason of the Intellectuals; trans; Richard Aldington; New York Norton; 1969

مواقع الأنترنت:

43. سيّار الجميل، مقال "مفهوم المثقّف العضوي ودوره في التّغيير"، بتاريخ 29 ديسمبر 2007 http://www.sayyaraljamil.com